دكتور عبد الحميد درويش

الفلسفة في مصر القديمة

من أمحوتب إلى أخناتون

2780 - 1340 ق.م

يطلب من
مكتبة وهبة
١٤ شارع الجمهورية . عابدين
القاهرة - تليفون ٣٩١٧٤٧٠

الطبعة الأولى

١٤١٩هـ - ١٩٩٨م

إهـــداء

إلى رائـد التنويـر والعقـل

الأستـاذ القـدوة والمثـل

أستاذى الدكتور

عاطف العراقى



تصدير

بقلم د. عاطف العراقى – أستاذ الفلسفة العربية

يحتل الفكر الشرقى القديم فى تاريخ الفكر العـــالمى مكانـــة كبـــيرة ، إننـــا نجـــد فكراً غاية فى الدقة والإحاطة والشمول انتشر فـــى العديـــد مـــن البلـــدان القديمـــة ومنـــذ قرون بعيدة فى الزمان ، فى مصر والهند والصيـــن واليابـــان والعـــراق.

وكم أثر هذا الفكر فى بلورة العديد من الأفكار التـــى وجدناهـــا بعـــد ذلـــك عنـــد العرب وعند أوربا أيضاً ، وبحيث أصبح مـــن الضـــرورى لدراســـة تـــاريخ أيـــة فكـــرة من الأفكار ، أن نرجع إلى فكر تلك الشـــعوب القديمـــة.

من هنا كانت سعادتى حيـــن وجـــدت الدكتـــور عبـــد الحميـــد درويـــش والـــذى سبق لى منذ سنوات طويلة مناقشته فى رســـالة للماجســـتير ، وإشـــرافى علـــى رســـالته للدكتوراه بكلية الآداب – جامعة القاهرة ، مـــهتماً منـــذ عـــدة ســـنوات بدراســـة وقـــراءة وتحليل جـــانب مـــن جوانـــب هـــذا الفكـــر ، وهـــو الجـــانب الفلســـفى ، فـــى مصـــر القديمة ، وفى فترة زمنية معينة ، من أمحوتـــب إلـــى إخنـــاتون.

رجع باحثنا والذى كان كمـــا قلـــت تلميـــذى بـــالأمس ، وزميلـــى اليـــوم حيـــث يعمل مدرساً بكلية التربيـــة بـــالعريش – جامعـــة قنـــاة الســـويس ، إلـــى العديـــد مـــن المصادر والمراجع الهامة ، فالكتاب الذى يقدمـــه اليـــوم للطبـــع والنشـــر يكشـــف عـــن سعة إطلاعه وتأملاته الطويلة ، ونحـــن نعلـــم أن مـــن أول شـــروط البحـــوث الجامعيـــة الأكاديمية ، أن يحرص صاحبها علـــى الإطـــلاع ، والإطـــلاع المكثـــف علـــى العديـــد من الدراسات فى المجـــال الـــذى يختـــاره موضوعـــاً أو مجـــالاً للدراســـة. فـــإذا جـــاء الدكتور عبد الحميد درويـــش ، وكـــان حريصـــاً علـــى أن يـــزود نفســـه بـــالعديد مـــن الأفكار التى سبق أن قام بمعالجتها باحثون قبله ، فإن هـــذا إن دلنـــا علـــى شـــئ ، فإنمـــا يدلنا على حرص الباحث على التعرف على كـــل أبعـــاد موضوعـــه. إن هـــذا يعـــد بـــلا

شك شيئاً محمـــوداً أو مطلوبـاً مــن البــاحثين فــى أى مجــال مــن مجــالات العلــوم الإنسانية وغيرهـــا.

صحيح إننا نختلف مع الدكتور عبد الحميد درويـــش فـــى نقطـــة أو أكـــثر مـــن النقاط التى نجدها فى دراسته ، ولكن الاختلاف فى الـــرأى يعـد شـيئاً متوقعـاً ، لأننـا فى مجال الفلسفة والتفلســف.

صحيح أيضاً أننا قد لا نتفق حول قضيـــة **"الفلســفة" فـــى مصـــر القديمـــة"** ، إذ إننا نذهب من جانبنا إلى رد نشأة الفلسفة إلى بـــلاد اليونـــان ، وليـس إلـى أى شـعب من الشعوب القديمة الشرقية ، ســـواء بمصـــر أو غيرهـــا مـــن البلـــدان ، ولكـــن هـــذا لا يقلل بوجه عام مـــن أهميـــة **"الفكـــر"** فـــى مصـــر القديمـــة وغيرهـــا مـــن الشـــعوب القديمـــة.

إن الغالب على فكر هـــذه الشـــعوب ، هـــو الصبغـــة الدينيـــة وليـــس الصبغـــة الفلسفية ، ونحن نعلم أن خصائص الفكر الدينى ، غـــير خصـــائص الفكـــر الفلســـفى.

وإذا كنـــا نتفـــق جميعـــاً علـــى القـــول بـــأن أفلاطـــــون اليونـــــانى كـــــان فيلسوفاً ، وأرسطو تلميذه كان أيضاً فيلسوفاً ، إلا إننــــا لا نســـتطيع القـــول بـــأن بلداننـــا الشرقية القديمة قد أنجبت لنا فيلسوفاً من الفلاسفة ، إن مصـــر القديمـــة قـــد خلـــت مـــن وجود فلاسفة ــ تماماً كمـــا نقـــول بـــأن بلداننـــا العربيـــة لا نجـــد فيـــها فيلســـوفاً مـــن الفلاسفة منذ ثمانية قرون ، وعلـــى وجـــه التحديـــد منـــذ العاشـــر مـــن ديســـمبر عـــام ١١٩٨م ، وهو التاريخ الذى يوافق وفاة ابن رشد آخـــر فلاســـفة العـــرب.

لماذا لم نجد فلسفة بالمعنى الدقيق لكلمة فلسفة فـــى مصـــر القديمـــة ، لمـــاذا لـــم نجد فلاسفة فى مصرنا القديمة ؟ هـــل يرجـــع ذلـــك إلـــى وجـــود الكهنـــة فـــى مصـــر القديمة ، أم يرجع إلى أسباب أخرى ؟ ، هـــذه قضايـــا عديـــدة لا شـــك فـــى أن مؤلفنـــا الدكتور عبـــد الحميـــد درويـــش ، ســـيقوم بتحليلـــها وســـبر أغوارهـــا فـــى دراســـات قادمة ، نظراً لأنه يملك أدوات البحث ، البحـــث الأكـــاديمى الجـــاد.

وهذا لا يقلل من أهمية الفكر في مصر القديمة ، إذ من قبيل إضاعة الوقت ، الشك في مدى أهمية هذا الفكر ، إنه فكر خالد جبار ملأ بقاع الأرض علماً ونوراً ومعرفة. إنه فكر لم يكتب إلا لكي تستفيد منه الشعوب والأمم منذ آلاف السنين وحتى أيامنا التي نحياها ، إنه فكر يستند إلى جذور قوية ، وواثق الخطوة يمشي ملكاً كما نقول.

إن العالم يشهد الآن اهتماماً بالغاً بهذا الفكر ، فكم من مقررات دراسية بالعديد من جامعات مصر وغيرها تركز بالدرجة الأولى على استكشاف جوانب شموخ هذا الفكر في مصرنا القديمة ، وغيرها من شعوب الشرق القديمة ، وقد آن الأوان لتصحيح نظرتنا إلى هذا الفكر الحيوي والشامخ ، نقول هذا رغم ذهابنا من جانبنا كما سبق أن أشرنا بأن نشأة الفلسفة والتفلسف لا ترجع أساساً إلى شعوب الشرق القديمة ، بل ترجع إلى اليونان.

ونجد في هذه الدراسة التي يقدمها مؤلفنا عبد الحميد درويش جهداً واضحاً ، إنه يقسم دراسته إلى مجموعة من الأقسام والعناصر والنقاط ، وينتقل بدقة من عنصر إلى عنصر آخر من العناصر التي نجدها داخل إطار كتابه. كما أن المؤلف لم يقتصر على مجرد العرض الموضوعي للآراء الفكرية التي نجدها في فترة زمنية في مصر القديمة ، بل إننا نجده يضيف إلى البعد الموضوعي ، بعداً ذاتياً نقدياً ، وذلك حين يلجأ إلى المناقشة والمقارنة والموازنة بين العديد من الآراء التي قام بتحليلها بأسلوب واضح يدلنا على أنه استطاع فهم طبيعة الآراء التي ذكرها.

ولجوء الباحث إلى المقارنة والموازنة ، يدلنا على وجود شخصية له تظهر بين ثنايا دراسته ، كما أنه لم يلجأ إلى الأسلوب الخطابي الإنشائي والذي لا يخلو من مبالغة. نعم لم يلجأ إلى هذا الأسلوب الذي نجده منشوراً الآن عند أشباه الباحثين ، وأشباه الأساتذة والذين يعملون داخل أشباه أقسام الفلسفة حالياً ، والفلسفة منهم براء.

كما أن رجوع الباحث إلى العديد من المصادر والمراجع والتى عولت بالدرجة الأولى على دراسة الفكر الشرقى المصرى القديم ، يدلنا كما سبق أن أشرنا على اهتمام بالغ من جانب الباحث بدراسة موضوعه.

نقول ونكرر القول بأننا إذ كنا نختلف مع مؤلفنا الفاضل الدكتور عبد الحميد درويش حول بعض الآراء التى ذهب إليها ، وحول بعض جوانب المنهج الذى سار عليه فى دراسته لموضوع بحثه ، إلا أن هذا لا يقلل من أهمية الدراسة التى يقدمها اليوم للطبع والنشر حتى يستفيد منها الباحثون والقراء عامة ، والدارسون للفكر الشرقى المصرى القديم خاصة ، ويكفى أن الهدف الذى سعى إليه مؤلفنا من دراسته يعد هدفا ساميا نبيلا.

ونرجو للمؤلف الدكتور عبد الحميد درويش كل ازدهار وتقدم فى بحوثه ودراساته الجامعية. إنه باحث جاد يملك أدوات البحث والدراسة وفى اعتقادنا أنه عن طريق هذه الأدوات العلمية ، بإمكانه إثراء مكتبتنا العربية بالعديد من المؤلفات فى مجال الفكر الشرقى القديم ، والفكر العربى قديمه وحديثه.

والله هو الموفق للسداد

عاطف العراقى

مدينة نصر فى ٨ سبتمبر ١٩٩٨م.

IMHOTEB امحوتب
2870 - 2680 ق.م

"امحوتب بن حابو" أشـــهر حكمـــاء مصـــر القديمـــة وأحـــد مؤسســـي مدرســـة الحكمة التي كان مركزها معبـــد أون فـــي مدينـــة هليوبوليـــس (عيـــن شـــمس الحاليـــة) والتي كانت بمثابة جامعة للعلوم والفنون ومقراً لعبـــادة إلـــه الشـــمس رع.

عاصر امحوتب عهد الملك زوســـر أول ملـــوك الأســـرة الثالثـــة بيـــن عـــامي ٢٧٨٠ إلى ٢٦٨٠ ق. م. وكـــان النمـــوذج العملـــي المتقـــدم لمفـــهوم الحكمـــة بمعنـــى كمال العقل وتمام الإدراك ليثبت أن الكمال غاية بشـــرية ومنحـــة إلهيـــة وليـــس مجـــرد صفة يتحلى به الأمراء أو غاية مثاليـــة. فجمعـــت حكمتـــه بيـــن الديـــن والفـــن وعلـــوم الهندسة والفلك والطب التـــي بلـــغ فيـــها مكانـــة عاليـــة ، وقـــد دلـــت ألقابـــه ووظائفـــه وشهرته على مقدار ما وصل إليه من علـــم ومكانـــة ومـــا قدمـــه مـــن معـــارف مفيـــدة لعصـــره[1].

كانت الحكمة عند امحوتب هي العلم ، وكـــان العلـــم عنـــده كـــل مـــا يســـتطيع الإنسان تحصيله من معارف مفيـــدة وأكيـــدة بنظـــر العقـــل ، بشـــرط ألا تتوقـــف هـــذه الحكمة عند حد النظر بل يجب أن تنتقل إلـــى مرحلـــة التعبـــير العملـــي الصـــادق عـــن الآراء والخبرات والحكم. لذلـــك لـــم يكتـــف "امحوتـــب" بتـــأليف الكتـــب فـــي الطـــب والعلاجات والفلك بل كان يمارس العلاج والتحنيـــط وإجـــراء الجراحـــات الدقيقـــة حتـــى بلغت شهرته مكانة كبيرة في عصره وفي العصـــور التـــي تلتـــه.

---

[1] **من هذه الألقاب والوظائف التي اشتهر بها امحوتب :**
رئيس المثالين ، كبير المهندسين ، كبير المتطلعين إلى السماء ، كبير الرائيين ، المتطلـــع إلـــى رب الشمس الكبير ، الحكيم النابغة ، الكاهن الأكبر ، خادم الفرعون ، الكاهن المرتل ، ابن الإله بتـــاح ، أمير أختام الوجه البحري ، ناظر القصر العالي.

وتأكدت هذه الحقيقة عندما عثر على بعض لفائف البردى التى كتبها امحوتب فى الطب واعتبرها رجال العلم أول كتاب فى الجراحة وأول موسوعة طبية فى تاريخ البشرية وأيدوا هذا الرأى بأدلة منها:

- إن الإغريق المتمصرين فى العصر القديم أطلقوا على امحوتب لقب إله الطب وأسموه رب الشفاء ، وشبهوه بإله الإغريق اسخيلوس رب الطب والحكمة عندهم ، وأن ما كتبه فى الطب جعله على رأس أهل الحكمة.
- إن عصر الملك زوسر قد اشتهر بتقدم العلوم وخاصة علم التحنيط وما يتطلبه ذلك من براعة وتقدم فى الجراحات والعلم بالأعضاء وما يحفظها آماداً طويلة ، ومكونات الجسم وعلم بالأدوية والعقاقير لحفظ الجسم بعد الوفاة انتظارا ليوم البعث والحساب فى عالم الحياة الآخرة .
- إن امحوتب قد بلغ درجة عالية فى صناعة العقاقير والأدوية واستخراجها من الأعشاب واستخدامها فى العلاج والتحنيط ، وأنه نبه إلى كيفية استخدام هذه الأعشاب ومزجها وأهم أنواعها المتوفرة فى البيئة المصرية .
- إن معارف امحوتب الكيميائية كانت وراء تقدم الفن وتصنيع المعادن واستخراج النحاس والذهب وصناعة الألوان والصباغات والأدوية واشتقاق اسم الكيمياء العلمى من الكلمة المصرية "كمت" وهى اسم مصر قديماً بمعنى الأرض السمراء.[1]
- إن المؤرخ المصرى القديم "مانتيون" سجل فى بردية "تورين" أن امحوتب الحكيم وراء تطور العلوم والفنون والآداب فى عصر الملك زوسر والعصور التى تلته.

---

[1] للاستزادة من المعلومات التاريخية عن امحوتب راجع :

- W.S Smith The old Kingdom in EGYPT, vol. I 1965

- د. عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ج ١ ص ١٠٢– ١٠٨ – ٢٢٣.

- د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية ص ٩٠ – ٩٦.

وكانت الحكمة عند امحوتب هى الفكر المنتظم والسلوك المستقيم ، وهذه الحكمة تتطلب صلاح الفرد واستقامته فهو أساس حسابه وبعثه وبقاء جسده وخلود روحه.

ورأى امحوتب أن من الحكمة صيانة الجسم وحفظه وسلامته لأنه المحل لخلود الروح واستمرار وجودها ، وأن صلاح الفرد وتقواه ضرورة من أجل الخلود والبقاء فى حياة خالية من الشرور والمظالم ، حياة السعادة الدائمة ، فالحياة الخالدة فى العالم الآخر تتوقف على الأعمال الدنيوية الخيرة.

ومن هنا كانت الحكمة عنده فى النظام والتعاون والأداء الأمثل والالتزام بالشعائر والعبادات وحسن المعاملة وتطبيق العدل ومنع الظلم. ولقد أنتشر هذا المفهوم بين الرعية والأمراء والحكام وصار اعتقاداً وأصبحت الحكمة غاية إنسانية وضرورة عملية لأنها الاسم الجامع لأعمال الخير والإحسان والعدل والسعى لاكتساب السمعة الطيبة ومحبة الرعية. ودلت نقوش المقابر وكتاب الموتى المسمى بالإنكارات ومواعظ كتاب الحكمة ، مدى الالتزام بما ينبغى أن يكون والسعى لحصول الكمال من أجل الخلود وسعادة الآخرة.

وكانت الترجمة العملية لهذا المفهوم فى فكرة امحوتب الهندسية للحفاظ على الجسم واستمرار بقائه ببناء الهرم المدرج على شكل مصاطب تقل فى الحجم كلما ارتفع البناء فى إشارة إلى القداسة والعلو والاستمرار وكان امحوتب أول مفكر ومنفذ لفكرة الأهرامات ، وكان هذا الهرم المدرج أول هرم فى الوجود.

وقد عبر امحوتب عن كفاءته الهندسية فى العديد من الأعمال الإنشائية غير الهرم المدرج وتوابعه من معابد وقصور. وأثبت عمليا أن الحكمة علم وعمل ، فكر وسلوك ، فكان طبيباً وجراحاً وفلكياً وكاهناً ومهندساً بارعاً ، وكان بحق كبير المهندسين وكبير المثالين ، وكبير الكهنة ووزير القصر أيضا.[1]

---

[1] وقد سجلت لوحة الخلود فى عهد رمسيس الثانى أسماء خمسين كاتبا وحكيما من الذين تزعموا حركة العلم والمعرفة والفن والأدب فى مصر القديمة والذين قدموا الفكر والنصيحة ووضعوا مبادئ العلوم ،

=

ولم يقتصر مفهوم الحكمة عند امحوتب على ضرورة الجمع بين الدين والعلم بل امتد مفهومها ليشمل الاهتمام بالإنسان فى حقيقته وكل ما يتصل به أو يؤثر فيه سلباً أو إيجاباً ، وكل ما يشغل فكره من قضايا ومشكلات ، وأن هذه الحكمة غايتها فلاح الإنسان وسعادته ومصدرها الوحى الإلهى وأن الإنسان لا يتمكن من هذه الحكمة إلا بالعمل وإعمال الفكر وكثرة السؤال وتحصيل المعارف. وقد وصف امحوتب هذه الحكمة فى معرض أقواله ومعارفه فقال :

"تعمقت فى الأقوال القدسية واطلعت على أعمال تحوتى [رب الحكمة] الباهرة وتزودت بكل أسرارها وكشفت عن فصولها ، ولهذا اعتاد الناس أن يستشيرونى فى كل أمورها".

وعند تأمل كلمات هذه العبارة تظهر مدى معرفة امحوتب بأقوال وحكم الأنبياء والحكماء السابقين له ، فتلك هى الأقوال القدسية ، وكذلك أعمال الإله تحوتى الذى يهب الحكمة والمعارف لأن تحوتى هو إله المعرفة والعدالة والميزان والذى يهب الحقيقة للبشر ، أما استشارة الناس له فهى إشارة إلى ما وصل إليه امحوتب من قدرة كلامية ومعرفية ، لأن الاستشارة ليست مجرد رأى أو حكم للناس بل هى مناقشة وإقناع حول قضايا معرفية ودينية عن الروح والجسم والموت والحياة والخلود والبعث والحساب ، لأن هذه القضايا كانت أهم ما يشغل الفكر المصرى عبر تاريخه الطويل .

كما تؤكد العبارة مدى حرص الإنسان المصرى على المعرفة وتحصيل الحكمة عن طريق الرأى والحوار والسؤال وهى معانى لكلمة الاستشارة.

ويمكن الاستدلال على مكانة امحوتب الفكرية وتقديمه للحكمة القائمة على تفاعل النظر والعمل والدين والعقل من خلال نجاحه فى وظائفه العلمية والدينية وقدرته على مواجهة المشكلات الاجتماعية.

وقاموا بتسجيل أهم الوقائع التاريخية منذ العصر الحجرى الحديث، وبداية عصر الأسرات وحتى عصر رمسيس الثانى وما بعده ، وكان فى مقدمة هؤلاء الكاتب الحكيم امحوتب الذى ظهر واشتهر مع بداية عصر الأسرة الثالثة فى عهد الملك زوسر.

ففى مجال الحياة الروحية تقلــد امحوتــب أعلــى المنــاصب الدينيــة والعلميــة فى مدينة "أون" معقل كهنـــة الشـــمس "آمـــون رع" ، فكــان "**امحوتــب**" رئيســاً لكهنــة "**آمون**" وكبير المرتلين بوصفه الكاهن الأكبر للإلـــه "**آمـــون**" حتـــى أطلــق عليــه لقــب ابن الإله "**بتــــــاح**".

وفى هذا الإطار كانت الحكمـــة عنــد "**امحوتــب**" فـــى الاتصـــال الدائــم بعـــالم الآخرة بالذكر والدعاء والإخلاص فى الأعمـــال فتلــك وســـائل الاتصـــال والقـــرب مـــن عالم الحساب والخلود ، لأن الإله يعرف الذيـــن يعملـــون مـــن أجلــه ، وكذلــك يعـــرف الشقى فينتقم منه ويجازى البشر على قـــدر أعمالـــهم حتـــى أعمـــال الفرعـــون نفســه ، وأن الحساب الأخروى لا يكون للجسم فقـــط بــل للجســم والـــروح معـــاً ، لأن الـــروح تواجه المحاكمة فى العالم الآخـــر وتدافـــع عـــن صاحبـــها لتثبــت صلاحـــه وإخلاصـــه وحقه فى الخلود والبقاء الأخـــروى .

وكان هذا المعتقـــد وراء الـــتزام الفكـــر المصـــرى جـــانب الأخـــلاق والقيـــم. والتأكد من أن الجسم والروح معا هما جوهر الوجـــود الإنســـانى المســـتمر عـــبر الحيـــاة والموت والبعث والخلـــود .

ويبالغ البعض فـــى وصـــف مكانـــة "**امحوتــب**" العلميـــة ويـــرون أن شـــهرته وأثره الفعال قد امتد بعـــد وفاتـــه قرونـــاً طويلـــة وأن النـــاس كـــانوا يتبـــادلون أقوالـــه وحكمه وانهم كانوا يعتبرونه من الأولياء وينسبون إليـــه الشـــفاء ، وأنـــهم أعـــادوا بنـــاء مقصورة شعائره فى غرب طيبة وحولوها إلـــى معبـــد كبـــير وأشـــادوا بكراماتـــه فـــى قضاء حوائجهم وعلاج مرضاهم إذا باتوا ليلة فـــى معبـــده ، واحترامـــا لعلمـــه ومكانتـــه بعد وفاته كان كتاب الحكمة قبـــل ممارســـة أعمالـــهم يحرصـــون علـــى إراقـــة بعـــض قطرات من الماء قرباناً واحترامـــاً "**لامحوتــب**"!

كما يستدلون بما نقش فى لوحة المجاعة علـــى جـــدار مقبرتـــه والتـــى وصفـــت مقدار حكمته وأشادت بعهد الملك "**زوســـــر**" ، وكيـــف كـــان "**امحوتــب**" يواجـــه قضايـــا المجتمع بالعقل والمنطق والتجربة واعتماده على العلـــة والدليـــل فـــى تفســـير الظواهـــر

.. فالنقوش تروى قصة ما حدث فى العام الثامن عشر مـــن حكـــم الملـــك "زوســـر" فـــى أيام أمير النوبيين الحاكم "مادير" رئيس معـــابد الجنـــوب.

عندما واجهت البلاد فـــترة الجفـــاف وشـــعر النـــاس بـــالضيق والقلـــق بعـــد أن عز الفيضان حوالى سبع سنوات وقلـــت الحبـــوب وتضـــاءلت المحـــاصيل ، واستشـــعر الشيوخ والشباب والأطفال آلام المجاعة وتـــروى اللوحـــة مـــدى ضيـــق الملـــك وخوفـــه على رعيته وحرصه على معرفـــة الحقـــائق.

فأراد الملك أن يتحرى الأصول والأسباب لما لحـــق البـــلاد مـــن بـــلاء ولمـــاذا قل فيضـــان المـــاء فاستشـــار الملـــك كبـــير كهنتـــه. وعلـــى الفـــور اختلـــى امحوتـــب بمخطوطاته وأوراقه ليدرسها ويتأمل حكم الأقدميـــن فيـــها .. وبعـــد مـــدة قصـــيرة عـــاد إلى الملك ليخبره بأن ثمة قرية تسيطر على النـــهر مـــن المنبـــع تســـمى [أبـــو/أســـوان] تعتبر البداية وحاضرة الإقليم الأول وعندهـــا يوجـــد المنبعـــان اللـــذان يصـــدران عنـــهما كل خير ، وهى المهد الذى ينشأ عنده الفيضـــــان ويتجمـــع ..

ولما سمع الملك ذلك سر كثـــيرا مـــن "امحـــوتـــــب" وأقتنـــع لأدلتـــه وحســـن مشـــورته.

وتروى اللوحـــــة أيضـــا ردود فعـــل الملـــك وميلـــه إلـــى المعرفـــة ومواجهـــة القضايا والمشكلات ، وميله إلى تفسير الظواهـــــر بعللـــها البعيـــدة رغـــم قناعتـــه بأدلـــة "امحوتب" واعتماده على العلة القريبة والمشـــاهدة الحســـية والتجربـــة. وتـــروى اللوحـــة أن الملك زوسر بعد أن قدم الأضاحى والقرابين لأربـــاب آبـــو ، رأى فـــى منامـــه الإلـــه "خنوم" مشكل البشر مـــن صلصـــال (أى الإلـــه الـــذى خلـــق البشـــر مـــن طيـــن) رآه يحدثه جهرة ويقول له : "أنا خنوم خالقك ، أنا مـــن يرســـل يديـــه مـــن ورائـــك لأكفـــل لك التأييد ، وأهب بدنـــك العافيـــة ، أنـــا الـــذى أوجـــدت اليابســـة ووهبتـــك أحجـــار الجرانيت منذ القدم لتشيدوا بها المعابد وتجددوا بـــها المنـــهدم .. أنـــا تـــوت العظيـــم الموجود منذ الأزل ، أنا الفيضان الذى يرتفـــع حيثمـــا يشـــاء" ..

ولما أفاق الملك أدرك أن صـــاحب الفضـــل فـــى العطـــاء والفيضـــان والخـــير هو الإله الخالق "خنوم" دون سواه .. وعلـــى الفـــور ســـارع الملـــك لتقديـــم الأضـــاحى

والقرابين ، وأمر بأن توقف بعض خيرات المنطقة للصرف على مراسم عبادته وحده وأن يكون لمعبده الحق فى الحصول على ضريبة العشر من صيد السمك والطيور وأعمال المحاجر والمتاجر بمنطقته تقرباً إليه واعترافاً بفضله.[1]

---

(1) – **هيرودوت** : حضارة مصر. ترجمة د. محمد صقر خفاجة. القاهرة ١٩٦٦.
– د. **عبد العزيز صالح** : الشرق الأدنى القديم ج ١ ص ١٠٠– ١١٥ ، ص ٢٢٠.
– د. **أحمد فخرى** : مصر الفرعونية ص ٩٠-٩٦.

كاجمنى KajMeny

2635 - 2561 ق.م

"**كاجمنى**" حكيم مصرى من حكماء عصر الأسرة الثالثة التى وجدت بين أعوام ٢٧٨٠ – ٢٦٨٠ – ٢٦٣٥ قبل الميلاد .

كان "**كاجمنى**" وزيراً لأحد ملوك هذه الأسرة ، وأنه عمل بالتعليم فكان معلما لأبناء الملك "**حونى**" آخر ملوك الأسرة الثالثة فى الدولة القديمة. أشتهر عنه تأليف مجموعة من النصائح الخلقية والتعاليم الدينية التى لها أثرها الفعال على مدى عدة قرون ، وقد كشفت الحفائر الأثرية عن بعض هذه النصائح.

وقد أهتم العديد من الباحثين ورجال التاريخ بهذه النصائح منهم المؤرخ الفرنسى فرنسوا دوماس ، ووالس بيدج.

دارت نصائح "**كاجمنى**" حول أهمية الاعتقاد بالوحدانية والتمسك بالقيم والفضائل ، وهى تعكس مدى تأثر المصرى القديم بتعاليم الأديان والاعتقاد الراسخ فى أعماق الإنسان المصرى بحقيقة الجزاء الخلقى والثواب والعقاب وهى تؤكد على الأثر الإيجابى للتدين على سلوك الفرد وتحسينه وأن الطاعة والاستقامة ضرورة لينال الفرد حسن الجزاء فى الدنيا والآخرة.

ومن هذه النصائح:

- أسلك طريق الاستقامة لئلا ينزل عليك غضب الإله .
- أحذر أن تكون عنيدا فى الخصام فتستوجب عقاب الإله .
- ولا تكونن فخورا بقوتك لأن الإنسان لا يعرف ماذا سيكون مصيره ولا يعرف ماذا يفعل الإله عندما ينزل العقاب.

وعند القيام بتحليل هذه النصائح ندرك مدى اهتمام المفكر المصرى بالحياة والموت والمصير ، فالحياة تعنى العمل والاستقامة

والموت يعني الخلود والبعث والبقاء والمصير يعني القدر المجهول الذى لا يعلمه سوى الإله.

وندرك أيضا كما يقول "والس بيدج" أن نصائح كاجمنى تصور مدى تمسك المصرى القديم بعقيدة التوحيد ، وأن كاجمنى قدم تصوره القائم على إيمانه بالإله الواحد الخالق الذى يهب الإنسان المال والبنون وهو الرازق الذى يهب الإنسان الرزق ، وهو العظيم المريد الذى لا يحب المفسدين المارقين الباغين ، وهو المحب للطائعين الذين يراعون ربهم. وهو الإله القوى الحكيم الذى يدبر العالم ويرزق طبقا لإرادته.

وأكد المؤرخ الفرنسى "فرانسوا دوماس" أن هذه النصائح والحكم تشير إلى رسوخ الاعتقاد بإله واحد ..

والوحدانية صفة إلهية آمن بها المصرى القديم لإيمانه بالرسالات السماوية وما جاء به الرسل والأنبياء فى مصر القديمة ابتداء من النبى إدريس وحتى موسى وعيسى ومحمد ﷺ كما إننا ندرك ذلك من تقارب المعانى بين ما جاء فى نصائح وحكم كاجمنى وأمثاله من حكماء مصر القديمة وما جاء فى القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة ومثال ذلك أن كلمات كاجمنى فى طريق الاستقامة والتحذير من العناد والإصرار على الخصام. فى دعوة إلى الود والحب الذى يجب أن يسود العلاقات الاجتماعية بين البشر ، هذا ما نلاحظه فى الحديث النبوى ﴿آية المنافق ثلاث ، إذا حدث كذب ، وإذا أؤتمن خان ، وإذا خاصم فجر﴾.

وذكر "والس بيدج" إنه يمكننا أن نستزيد بمعلومات أكثر عن فكرة الله عند المصريين القدماء ببعض عبارات محددة فى الوصية الشهيرة "لكاجمنى" ، وهى تؤكد ما وصل إليه الفكر المصرى من تقدم فى الجانب الخلقى والدينى ومدى تمسك الشعب المصرى بمبادئ التوحيد وحسن الخلق ، وربطه بين الدين والخلق وبين النظر والعمل ، كما تدل

فى الوقـــت نفســه علـــى أن الفكـــر المصـــرى فـــى أصلـــه فكـــر دينـــى وأنـــه كـــان علـــى صلـــة قويـــة بالتعـــاليم الســـماوية والرســـالات المقدســـة.[1]

---

(1) ١- الأدب المصرى القديم ج ١. د. سليم حسن ص ١٩٩.

٢- قدماء المصريين أول الموحدين د. نديم السيار ج ١ ص١٧١ - ١٧٣ - ط ٢ ١٩٩٥

- W. Budge : The Egyptian Book of The Dead.

- W. Budge : From Fetish To God in Ancient Egypt. Oxford 1934.

٣- فرانسوا دوماس : آلهة المصريين . ص ١١٨ - ١٤٨ - ١٥١.

راجع عن الكاتب الحكيم كاجمنى فى :

- F. Daumas : Le Civilization de L' Eygpte Pharaonique Paris , 1965 P. 315

بتـــاح حوتـــب
BATAH HOTEB

2480 – 2420 ق . م

بتاح حوتب هو أبرز حكمـــاء الأســرة الخامســة التــى حكمــت مصـــر بيـــن أعوام ٢٥٦٠ إلى ٢٤٢٠ قبل الميـــلاد.

وهو أشهر حكماء الدولة القديمة بسبب ما قدمه من حكـــم ومواعــظ فـــى بنـــاء الإنسان والمجتمع وما يجب أن يكون عليه ســـلوك الفــرد .

كان بتاح حوتب وزيراً للملك "إســـيس" ESYS الــذى ســمى عصــره بعصـــر التقـــوى والرفاهيـــة ، ولـــم يبخـــل بتـــاح بحكمتـــه وعلمـــه وتنـــوع معارفـــه التـــــى صاغها فى صورة مواعظ خلقية ونصـــائح موجهـــة لولـــده والشـــباب أمثالـــه يدعوهـــم إلى العلم والمعرفة والإيمان وحســـن الخلـــق.

فسجل هذه الحكـــم وصاغـــها صياغـــة أدبيـــة رفيعـــة فأثـــارت انتبـــاه راغبـــى الحكمة والمعرفة والأدب والفن فى كل عصـــر لأنـــها كـــانت بمثابـــة المنـــهج المتكـــامل للتربية والنجاح فى الحياة وتحقيق السعادة للفـــرد والمجتمـــع.

وهـــى تعكـــس مـــدى اهتمـــام بتـــاح بالمعرفـــة والســـلوك ومبـــادئ الأخـــلاق الاجتماعية ، واهتمامه الخاص بـــدور الأســـرة فـــى التربيـــة والتعليـــم وبنـــاء المجتمـــع واســـتقراره .

إن فلسفة بتاح رغم غلبة الطابع الأخلاقـــى عليـــها فـــهى تعكـــس مـــدى اهتمـــام المصرى القديم كمواطـــن وكـــاهن أو كـــاتب بمختلـــف مجـــالات المعرفـــة واســـتخدام

العقل وطـرق هـذا الاسـتخدام وفائدتـه ، وهـذا مـا أثبتتـه البحـوث والمكتشـفات الحديثـة.[1]

ففى مجال المعرفة أكد "بتـاح" مدى اهتمـام المصـرى القديـم ببيـان أصـل الحكمة ومصدرها الإلهى وبيان أهميتها ومجال تطبيقها ونجاحـها فـى مختلـف العلـوم والفنون والمعارف ، ومن ثم كانت الحكمـة عنـده حكمـة عمليـة أكـثر منـها نظريـة لأنها كـانت تعنـى الالـتزام والسـماع والوعـى بمعـانى العدالـة والمسـاواة والحـق والاستقرار ، كما كانت تعنى الاحـترام والسـعى للمعرفـة والعلـم والثقافـة وممارسـة الكتابة وتسجيل مختلف الفنون والآداب فكل ذلـك مـن الحكمـة.

وهذه الحكمة العملية لم تكن مجرد إعمـال العقـل أو فـهم لمعـانى العـدل أو عمل آلى روتينى لتحصيل المعرفة أو مجـرد ممارسـة للتـأمل كرياضـة عقلـية بحتـة بل كانت هى الالتزام بممارسـة الحـق والصـدق والعـدل والتواضـع والالـتزام بـهذه القيم عند معرفتها والعمل علـى انتشـارها.

وقد عبر بتاح فى نصائحـه إلـى بقـاء هـذه القيـم وخلودهـا وفائدتـها ..... فقال : "إن صوت الناس يفنى أما صوت الكاتب فيعيش أبـد الدهـر ومـا أعظـم الحـق فإن قيمته خالدة. وكان الكاتب هو الحكيم الـذى يسـتطيع أن يعـبر خـير تعبـير عـن حاجات النفس الإنسانية ومطالبها باستخدام القلم للتعبـير عـن الحقيقـة.

وعبر عن ذلك بتاح بقوله : لينطلق قلمك بالحق ولا يخط إلا الصـدق بمـا يفيـد النـاس ويرضى الإله ، فصـوت القلـم أعلـى الأصـوات لأنـه

---

[1] أشارت الباحثة الأمريكية أندريا مكدويل فى مقالها الذى نشر فى مجلة المعرفة العلمية إلى اكتشاف عشرات الآلاف من الوثائق فى قرية دير المدينة قرب الأقصر وأن هذه الوثائق أثبتت:
١- أن غالبية المصريين القدماء كانوا يعرفون القراءة والكتابة.
٢- أن المصريين كانوا مغرمين بالنظام وتدوين كل شىء وحب العاصمة طيبة .
٣- أن العامل والمواطن العادى كان للجميع طموح للتعليم ومعرفة الأدب على الرغـم مـن أن وظيفتهم لم تكن تتطلب ذلك ، وأن العلم والمعرفة كانا من المفاتيح الأساسية لحياة طيبة وكريمة.
* راجع جريدة الأهرام الأحد ٥ يناير ١٩٩٧م ص١ .

صوت الحق ، وأن الكتابة حاسة مقدسة يهبها الإله للكاتب لترفعه فوق الناس فيرى مالا يرون ويسمع مالا يسمعون.

وهكذا كانت الكتابة تعبيرا عن الحكمة التى يهبها الإله للحكماء والصالحين وما جاء فى التعبير القرآنى مصداقا لذلك فى **قوله تعالى** :-

﴿ يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولوا الألباب ﴾ [البقرة ٢٦٩]

لقد أثبت "**بتاح**" أن الحكمة لا تكون إلا بالعلم والعمل ، فهى فى العلم بما ينبغى أن يكون عليه الإنسان بالفعل ، ومن ثم تضمنت حكمه ومواعظه أصول العلاقات الإنسانية والاجتماعية فى صورتها المثالية ، وفى مختلف مستوياتها الولد مع أبيه وأسرته وجيرانه ، والمعلم مع تلاميذه والتلميذ مع أستاذه ، والرئيس مع مرءوسيه والمواطن مع الحاكم ، والزوج مع زوجته ، والصديق مع صديقه وعلاقة الفرد مع ذاته وحاجاته ، وعلاقة الفرد مع الآخر فى مختلف حالاته وانفعالاته .

وأكد **بتاح** أن قيام هذه العلاقات يجب أن يكون على أساس من العلم والدين والمعرفة لتحقق السعادة والغاية وهى البقاء أو الخلود ، وما تلك سوى غاية الحكمة وفائدة الفلسفة على الحقيقة .

لأن **بتاح** كان حريصا فى التنبيه إلى وجوب فهم حكمه والالتزام بنصائحه لأن فى ذلك الفهم والالتزام فائدة حقيقية للجميع ، ولأن من يفهمها على حقيقتها سيصير أستاذا [آى إنسانا متكاملا] وسيصير زوجا ناجحا وقائدا محبوبا وكاتبا مرموقا .. وفى هذا الإطار جاء قول بتاح حوتب فى حكمه.

- ما أعظم الحق فإن قيمته خالدة ، والحق مثل الطريق السوى أمام الضال.
- إن ثروة المرء العظيمة هى عقله ، فلا تكن متكبرا بسبب معرفتك ولا تثق بأنك رجل عالم.

- ما أفضل الابن عندما يصغى لوالده ، فالابن إذا وعـــى لمــا يلقيــه عليــه والــده فانه لن يخيب فى مشروع مـــن مشـــروعاته .
- وما أجمل أن يستمع الابن إلى أبيه لأنه سيطول عمره مـــن جـــراء ذلــك.
- فإن الابن المستمع المطيع يحبه الإله والذى لا يســـمع مكـــروه مـــن الله.
- إن الغبى هو الذى ينظر إلى العلم كما لو كان جـــهلا ، وإلـــى الخـــير كمـــا لـــو كان شرا ، لأنه سيجلب على نفسه اللوم كـــل يـــوم لأنـــه يفعـــل كـــل مـــا هـــو مكروه من النـــاس.
- عليك باحترام الرئيس طبقا لما وصــــل إليـــه.
- لا تكثر من اللغو ولا تسمعه – وإذا حكمت بين الناس فأســـــلك طريـــق العـــدل.
- إذا كنت قائدا وتصدر الأوامر للجمع الغفـــــير فأســـع وراء كـــل كمـــال حتـــى لا يكون نقص فى طبيعتـــك.

الفضائل الأخلاقية عند "بتاح حوتب" :

استطاع **بتـــاح حـــوتـــب** كفيلسوف أخلاقـــى تصويـــر مـــا يجـــب أن تكـــون عليه الأخلاق الاجتماعيـــــة فـــى صورتـــها المثاليـــة ، وأقـــام مذهبـــه الأخلاقـــى علـــى فضائل الحكمة العملية وعكست نصائحه مدى إيمانـــه بأهميـــة التقـــوى والعمـــل الصـــالح ، ومدى إيمانه بـــالقدرة والإرادة الإلهيـــة فـــى توجيـــه الســـلوك البشـــرى نحـــو الخـــير والفضيلـــة.

فكانت الفضائل الأخلاقية التى دعــــى إليــــها وســـائل تحقيـــق الأمـــن النفســـى والكمـــال الروحـــى الـــذى يتحقـــق مـــن خـــلال فضـــائل الأدب والتواضـــع والتســـامح والشـــجاعة ، والعلـــم والحكمـــة ، والصـــدق والصداقـــة والثقـــة والأمانـــــة والعـــــدل والاعتدال ، وغيرها من **فضـــائل الأخـــلاق.**

ولم يكتف "**بتـــاح**" بتحديد هذه الفضائل ومجـــال تطبيقـــها بـــل كـــان حريصـــا على بيان أضداد هذه الفضائل من مختلف الشـــرور والرذائـــل التـــى يجـــب أن يحذرهـــا الإنسان لينجو من أخطارها وخاصة إنها من أمراض النفس التـــــى لا عـــلاج لـــها.

ولم يدعى " **بتاح** " أنه صاحب الفضل فى التعريف أو الدعوة لهذه الفضائل بل أرجعها إلى الحكماء والمصلحين السابقين عليه وذكر صراحة فى ختام حكمه : "**والفضل فى هذه النصائح التى ألقيتها عليك يرجع للأجداد لأن** نصائحهم جديرة بالتقدير."[1]

(١) فضيلة التواضع :

فهم " **بتاح** " التواضع على أنه أدب أخلاقى وعادة متعلمة وضرورة لكمال النفس وعلو القدر وحصول الرضى الإلهى وتحقيق النجاح الدنيوى.

وفى هذا الإطار كان التواضع عنده فضيلة تمكن الفرد بأن يقضى على دوافع الشر والرذيلة وأمراض النفس وأهمها الغرور والطمع والغباء والتعالى والتشاجر والتفاخر والكذب والنفاق .

وهذا يفسر حرص "بتاح" فى حكمه ومواعظه إبراز متطلبات التواضع كالتزام الحذر والصمت عند وجوبه والبعد عن الغرور والتعالى والطمع والتكبر والشراهة والسكر والتشاجر وغيرها من الشرور والرذائل.

- ففى البعد عن الطمع قال : "**إذا أردت أن تحسن خلقك وتصون نفسك من كل سوء فأحذر من الطمع فهو مرض عضال لا دواء له.**"
- وفى البعد عن الغرور قال : "**لا يداخلك الغرور بسبب علمك ولا تتعالى لأنك رجل عالم.**"
- وفى البعد عن التكبر والتفاخر قال : "**ولا تكن متكبرا ولا تكونن منتفخ الأوداج ، وإذا فاه أخوك بالشر فانصحه.**"
- ولأن التواضع ليس مجرد صفة بل سلوك وأدب خلقى يلزم صاحبه التعقل **وعدم الاندفاع أو التشاجر أو التعالى على الآخرين قال**

---

[1] الأجداد هنا إشارة إلى أصحاب الحكمة قبله من حكماء ورسل وأنبياء.

"بتـــاح" : (لا تتشاجر مع أى شخص عظيمـــا كـــان أو بســـيطا فـــإن ذلـــك أمـــر كريه فلم يحدث أبدا أن عمل السوء يوصل صاحبه ســـالما إلـــى مأمنـــه).

- **وقال أيضا** : "إذا عظم شأنك بعد أن كنت قليل القـــدر وأصبحـــت غنيـــا بعـــد أن كنت فقيرا فى البلد الذى يعرفك أهله فلا تنسى كيـــف كـــان حـــالك فيمـــا مضـــى ولا تغتـــر بثروتك التى جاءتك كهبة مـــن الإلـــه.

- **والتواضع عند " بتـــاح حـــوتـــب "** قيمة خلقيـــة رفيعـــة يحتـــاج إليـــها العـــالم والحاكم والفقير والغنى والرئيـــس والفقيـــه ، ولـــذا فـــالتواضع فضيلـــة جامعـــة تتطلـــب مـــن صاحبـــها التخلـــق بـــالحذر والتـــأدب عنـــد التعـــامل والحـــرص والصمت عنـــد مجـــالس الخطبـــاء والحكمـــاء لأن ذلـــك كلـــه مـــن متطلبـــات التواضـــع.

  وفى هذا جاء قوله : "عليك الالتزام بالحذر فـــى حضـــرة العظمـــاء والالـــتزام بآداب المائدة فى حضرة الرئيس ، وعليك باحترام الرئيـــس طبقـــا لمـــا وصـــل إليه دون النظر إلى أصله قبل رئاســـته لأن الثمـــرة لا تـــأتى عفـــوا .. وعليـــك بالتحلى بالصمت أمام الرئيس وألا تتكلـــم إلا بعلـــم وحيـــن تســـجل المعضـــلات لأن صناعة الكلام أصعب من أى حرفـــة أخـــرى.

- **والتواضع عنـــد " بتـــــاح "** يتحقـــق بتكميـــل النفـــس وســـلامة البـــدن الـــذى يتطلب بدوره التزام الاعتدال والبعد عـــن الشـــراهة والطمـــع ، فالشـــراهة عنـــده مفتاح جميع الشـــرور ، وهـــى نقيـــض التواضـــع والاعتـــدال وقرينـــة الطمـــع والحقد والسرقة والظلـــم وســـائر الشـــرور والفواحـــش ، ولـــهذا كـــان حـــرص "بتـــاح" على بيان أخطار الشراهة علـــى الفـــرد والأســـرة والمجتمـــع. وفضـــل الاعتدال والتواضع **فقـــــال** : "ولا تكونـــن شـــرها فـــى القســـمة ، ولا تكونـــن ملحا إلا فى حقك ولا تطمعن فى مال أقـــاربك فـــإن القليـــل الـــذى اختلـــس منـــه يولد العداوة حتى عند صاحب الطبـــع الليـــن.

- وإذا أردت أن يكون خلقك محمودا وأن تحـــرر نفســـك ممـــا هـــو قبيـــح فـــأحذر الشراهة فأنها مرض مملـــوء بـــالداء ولا يشـــفى ، والصداقـــة معـــها مســـتحيلة

فإنها تجعل الصديق العذب مرا وتقصى ذا الثقة عـــن ســيده وتجعــل كـــلا مــن الأب والأم قبيحا وكذلك الأخوال ، وتفصل الــزوج عــن زوجتــه وهـــى حزمــة من كل أنواع الشر وحقيبة من كــل شـــئ مــرذول ، وأن الرجــل الــذى يتبــع طريقة حقه فى سلوكه ويسير على الصــراط الســوى يعيــش طويــلا ويكســب الغنى بذلك ولكن الشره لا قبر له ، أى لا بقاء لـــه ولا قيمــة.

- والتواضع عند "**بتـــاح**" ضرورة لحصـــول العلــم والحكمــة وتحقيــق الرضـــا الإلهى. وفى هذا جاء قوله الواضــح: "ســوف يرضـــى الإلــه عملــك إذا كنــت متواضعا وعاشرت الحكماء" فى إشـــارة إلـــى اكتســاب التواضــع وتعلمـــه مـــن مجالسة ومعاشرة الحكماء لأنهم أكثر النــــاس تواضعـــا.

- وعندما نتأمل أراء "**بتـــاح**" فـــى التواضــع ســنلاحظ التشــابه الكبــير بينـــها وبين ما جاء فى القرآن والحديـــث مـــن حــث علـــى التواضــع بـــهذا المفــهوم العملى العام مما يؤكد مدى تـــأثر الحكــم المصريــة بـــأقوال الأنبيـــاء والرســـل ومعرفتهم بالأديان السماوية وســـبق إيمانـــهم بالألوهيــة والوحدانيــة والتزامـــهم بـــالمثل ومكـــارم الأخـــلاق وهـــذا الــرأى ذهــب إليــه العديــد مـــن البـــاحثين والمفكرين من قبل وفى مقدمتهم : دكتور عبــد العزيــز صـــالح ، دكتــور ســليم حسن ، دكتور عبد الرحيم صدقى ، دكتـــور نديــم الســيار وغــيرهم واســتدلوا على ذلك بعدة أدلـــة:

١. أن التواضع صفة لازمة للأنبياء والرســل والحكمــاء الصـــالحين لأنـــهم الأســوة والمثل فى التواضع والسماحة والصبر والعـــدل والتحمـــل.

٢. إن حكم "بتــــاح" وأقواله فى التواضع ونبــــذ الغــرور والتكــبر تتشـــابه تمامـــا مع ما جاء على لسان الأنبياء والرســل ومـــا جـــاء فـــى القــرآن الكريــم علـــى لسان "لقمان الحكيم" ...... **مثال ذلـــك:**

   - **قول بتـــاح لأبنه : ولاتكن متكــبرا ولاتكــن منتفــخ الأوداج.**

وهذا شـــبيه لقـــول لقمـــان لابنـــه : ﴿ولا تصعر خدك للناس﴾.[لقمـــان ١٨]

فالتشابه التام فـــى المعنـــى والـــهدف والدعـــوة إلـــى البعـــد عـــن التكـــبر والتعـــاظم والالـــتزام بـــالتواضع وحســـن الخلـــق وعلامتـــه ألا يعـــرض الإنسان عن أمثاله من البشـــر.

- **وقول بتـــاح لابنه** : وإذا فاه أخوك بالشـــر فأنصحـــه.

مثـــل قـــول لقمـــان لابنـــه: ﴿وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور﴾.[لقمـــان ١٧]

فالتشابه قائم فى التنبيـــه علـــى أن التواضـــع لا يعنـــى العزلـــة بـــل يعنـــى المشاركة فى تحقيق الخير والبعد عـــن الشـــر.

- **وقول بتـــاح لابنه** : أعلـــم أن بيـــت الزانـــى مآلـــه الخـــراب ، وأن كـــل زان لابد أن يكون ممقوتا من الإله لأن ذلـــك مخـــالف للشـــرائع.

وأن من خالف الشرائع والقوانين الإلهية نال شـــر الجـــزاء.

- **فهذا** يشبه ما جاء فـــى القـــرآن فـــى آيـــات عديـــدة فـــى ســـورة الفرقـــان والممتحنة والإسراء والنور من حث على الخير وابتعـــاد عـــن الشـــرور.

ففى سورة الإسراء جـــاء قولـــه تعـــالى : ﴿ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلا﴾.[الإســـراء ٣٢]

- **وقول بتـــاح لابنه** : أسس لنفســـك بيتـــا وأحبـــب زوجتـــك فإنـــها حقـــل طيب ومثمر لســـيدها.

يؤيـــده قـــول الحـــق ســـبحانه وتعـــالى : ﴿نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم﴾.[البقـــرة ٢٢٣]

- والتواضع فى مقام المشاورة يظهر فى قـــول "بتـــاح" لابنـــه :

"فشاور الجاهل والعاقل لأن نهاية العلم لا يمكن الوصول إليها وليس هناك عالم يسيطر على فنه تماما"

وذلك يؤيده قول الحق سبحانه وتعالى :

﴿وشاورهم فى الأمر﴾[آل عمران ١٥٩]

﴿وأمرهم شورى بينهم﴾[الشورى ٣٨]

﴿وفوق كل ذى علم عليم﴾[يوسف ٧٦]

- والتواضع فى مقام الصداقة : فى قول "بتاح" لابنه: إن الصدق جميل وقيمته خالدة ، وإنه لم يتزحزح منذ يوم خالقه والذى يتخطى نواميسه يعاقب.

وذلك يؤيده قول النبى ﷺ: "إن الصدق يهدى إلى البر وإن البر يهدى إلى الجنة".

- والتواضع لا يكون إلا مع التسامح والبعد عن لغو الحديث:

يظهر ذلك فى قول "بتاح" لابنه : لا تكثر من اللغو ولا تسمعه.

وذلك يؤيده قول الله سبحانه وتعالى : ﴿وإذا مروا باللغو مروا كراما﴾[الفرقان ٧٢]

وقوله تعالى : ﴿والذين هم عن اللغو معرضون﴾ [المؤمنون ٥٤]

- والتواضع لا يكون إلا مع الالتزام والاحترام وأداء الأمانة.

فيه يقول "بتاح" لابنه : لا تخن من ائتمنك والأمين يؤدى أمانته.

يؤيده قوله تعالى : ﴿إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها﴾ [النساء ٥٨]

يؤيده قوله تعالى: ﴿فإن أمن بعضكم بعضا فليؤد الذى أؤتمن أمانته وليتق الله ربه﴾[البقرة ٢٨٣]

وقول النبى ﷺ : "أد الأمانة إلى من ائتمنك ولا تخن من خانك".

- **وقول بتـــاح لابنه** : ما على الرسول إلا البلاغ ولكــن بغــير خلــط"

يؤيده قول الحـــق سـبحانه وتعــالى: ﴿يا أيها الرسول بلغ ما انزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس ﴾[المـائدة ٦٧].

وقوله تعـالى : ﴿ما على الرسول إلا البلاغ المبين﴾[النور ٥٤]

- **وقول "بتـــاح" لابنه** : وليكن للناس نصيب ممــا تملــك فـهذا واجـب على من يكون صفيــا لله".

يؤيده قوله تعالى: ﴿والذين في أموالهم حق معلوم * للسائل والمحروم﴾[المعارج ٢٤،٢٥]

- وقول "بتـــاح" لابنـه : وإذا حكمـت بيـن النـاس فاسـلك طريـق العـدل.

يؤيده قوله تعـالى: ﴿وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ﴾[النساء ٥٨]

- **والتواضع عنـد "بتـاح" لا يتحقـق إلا فـى إطـار الطاعـة ، لأن** المتواضع متأدب مع الإله مطيع لإرادتـه وشـرائعه ومـن هنـا كـان حرص "بتـــاح" الدائـم علـى أن يذكـر ابنـه بـأن مـن يخـالف الشرائع الإلهية سيكون ممقوتـا مـن الله وسـينال شـر الجـزاء ، لأن التواضع يستلزم تمام الطاعـة لإرادة الله وحكمتـه.

- **وفى هذا قـال "بتـاح"** : مـا أراده الله يتحقـق وأن الجـهول مـن يعترض علـى إرادة الله .

وهذا موافق لما جاء فى القرآن الكريم فى آيـات عديـدة تؤكـد حريـة الإرادة الإلهية المطلقة مثل قوله تعالى: ﴿ إن الله يفعل ما يريد ﴾[الحج ١٤]

وقولــه تعـالى : ﴿ وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شئ قدير﴾[آل عمران ٢٦]

وهذا موافق لما قالـــه "بتــــاح" لابنـــه : "أن الله يعــز مـــن يشـــاء ويزل من يشاء لأن بيده مقـــاليد الأمـــور".

- **والتواضع** سمة عامــــة مـــن ســـمات الصـــالحين وأدبـــهم وســـماحتهم وصبرهم وعدم غرورهـم وامتثالـــهم لأوامـــر الله ورعايتـــهم للحقـــوق والواجبـــات واحترامـــهم لأمثالـــهم والتزامـــهم بالعـــهود والمواثيـــــق وأخلاق الرحمـــة والعـــدل والإنصـــاف. حتـــى أن المتصوفـــة أقـــاموا حياتهم على التواضع ونبذ الكبر والغرور لأنه آفـــة تحبـــط العمـــل.

فتحدث الحارث بن أسد المحاسبى عن الكـــبر وعلتـــه فقـــال : الكـــبر يتشعب من العجب والحقد والحسد والرياء ، وأصـــل ذلـــك مـــن جـــهل معرفة القدر فإذا جهل العبد قـــدره تكـــبر"[1]

وأكد هذا المعنى الفضيل بن عيـــاض فقـــال : مـــن رأى لنفســـه قيـــمة فليس له فى التواضع نصيـــــب.

وعرف التواضع بقوله : إن التواضـــع أن تخضـــع للحـــق وتنقـــاد لـــه وتقبله ممن قاله"[2]

- **والتواضع عند أبى يزيد البسطامى** مقام رفيع لأن الرجل يكون متواضعـــا إذا لم ير لنفســـــه مقامـــا ولا حـــالا ولا فـــى الخلـــق مـــن هـــو شـــر منه.[3]

- **والتواضع عند الغزالى** يكـــون فـــى البعـــد عـــن الكـــبر والعجـــب ولا يكون إلا فى التوســـط والبعـــد عـــن الرذائـــل **فـــالتواضع عنـــده هـــو الوقـــار.**

---

[1] الرعاية للمحاسبى ص ٤٥٠ – ٤٩٠.

[2] الرسالة القشيرية جـــ ١ ص ٤٣٢.

[3] الرسالة القشيرية : ٤٣٣.

* **والتواضع** لا يكون إلا مع عزة النفس والقدرة على ضبط النفس وتوجيه السلوك وهذا معنى قول الغزالى بأن التواضع رذيلة والكبر رذيلة والوقار فضيلة تتوسطها.

وقال يحيى بن معاذ : "إن التكبر على من تكبر عليك بماله تواضع".

وهو نفس مقاله ابن المبارك فى أن التواضع هو التكبر على المتكبرين وليس كبرنا على التكبر إلا كبر حسن بالعلة الداعية إليه والحال الموجبة له.

* **وهكذا كان التواضع** عند المتصوفة اسم جامع لعزة النفس والصبر والحلم لان الحلم ضبط إرادى للانفعال فى مواجهة إساءات الآخرين. وكان التواضع عند رجال الأخلاق صفة لازمة لتحقيق المكانة وحفظ القدر ولا يتحقق إلا بالبعد عن الغرور والتكبر.

وكان التواضع عند "بتاح حوتب" حلم وأدب ودواء لأمراض النفس وشرورها.

* وفى القرآن الكريم كان التواضع فى مقدمة الفضائل التى دعا إلى التمسك والتخلق بها فى جميع الأحوال والأوقات لأن التواضع سمة من سمات المؤمنين وهو الدواء الذى يقى النفس من أمراض الغرور والتكبر ، وهذا المعنى قد أشار إليه الرسول ﷺ فى أحاديث عديدة منها قوله : [من تواضع لله رفعه] ، فهو فى نفسه صغير وفى أعين الناس عظيم ، ومن تكبر وضعه الله فهو فى أعين الناس صغير وفى نفسه كبير".

* وعندما سئل النبى ﷺ : [ما الكبر؟ أجاب : سفه الحق وغمط الناس]

وفى رواية أخرى : [ولكن الكبر من بطر الحق وغمط الناس]

في إشارة إلى أن المتكبر مغرور لا يستمع للحق ولا يقبله لأن المتكبر مغرور يرى نفسه دائما أكبر مما هو عليه في الواقع.

وهذا المعنى نفسه قد أشار إليه القرآن الكريم في آيات عديدة منها قوله تعالى : ﴿وأما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذابا أليما﴾[النساء ١٧٣]

وقوله تعالى : ﴿إنه لا يحب المستكبرين﴾[النحل ٢٣]

وقولة تعالى: ﴿ فلبئس مثوى المتكبرين ﴾[النحل ٢٩]

وقوله تعالى: ﴿سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق وإن يروا كل آية لا يؤمنون بها وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا وإن يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا﴾ [الأعراف ١٤٦]

- والتواضع في معناه العام حلم ولين ورحمه مع ثقة في النفس ، وصاحبه يتميز بالهدوء والسماحة والصدق والأمانة والبعد عن لغو الحديث ويسعى دائما بالخير بين الناس وفي هذا كان الحديث النبوى حول علامات التواضع في قول النبي ﷺ :

  [ثلاث هي رأس التواضع أن يبدأ بالسلام من لقيه ويرضى الدون من شرف المجلس ويكره الرياء والسمعة].

  وفي حديث آخر : [من حلب شاته ورقع قميصه وخصف نعله وواكل خادمه وحمل من سوقه فقد برئ من الكبر].

- وإذا كان الحديث النبوى والخطاب القرآني يؤيد ما قاله "بتاح" في حكمه فهذا دليل على صدق "بتاح" وعلى معرفته بأقوال الرسل والأنبياء السابقين عليه ، ولولا قول "بتاح" إن حكمته ليست من ابتداعه وأنها هبه إلهية وأنه نقلها من الكتب السماوية

وحكم السابقين لما أوردنا هذه المقارنات بين حكمه وبين ما جاء في القران الكريم والحديث.

(٢) فضيلة الحكمة :

وحد "**بتاح حوتب**" بين العلم والحكمة فكان العلم عنده هو الحكمة ، وكانت الحكمة هى الاسم الجامع لجميع الفضائل والقيم ، ومن ثم كانت الحكمة من أهم الفضائل التى تجمع بين النظر والعمل وتتطلب مداومة عمل العقل فى تحصيل المعارف.

وقد استطاع "بتاح" أن يحدد وسائل تحصيل الحكمة ومجال استخدامها ومصدرها وماهيتها والغاية منها.

وإذا كان مصدر هذه الحكمة وأصلها هو المصدر الإلهى فان المستفيد الوحيد من هذه الحكمة هو الإنسان فى جميع أحواله وأفعاله وذلك لأن الحكمة تكون مع التزام الصدق والحق والتزام العدل وفعل الخير كما تكون من حسن الاستماع والطاعة والحذر من الوقوع فى الشر والخطأ.

- أما وسائل تحصيل هذه الحكمة فهى : كمال العقل وتمامه ، وحسن الاستماع عند التعلم ، والرغبة فى المعرفة ودوام المشاورة والتزام جانب الحق والصدق دائما.
- **فكمال العقل فى قوله** : اتبع لبك (أى عقلك) مادمت حيا ولا تفعلن أكثر مما قيل لك ، فإن ثروة المرء العظيمة هى عقله ... فى إشارة إلى ضرورة المحافظة على العقل وتدريب الذاكرة باستمرار والتزام جانب الاعتدال فى جميع الأقوال والأفعال لأن العقل هو ميزان هذه الأفكار والأفعال وهو وسيلة التمييز بينهما وهو الذى يختار أفضلها وأنفعها.
- **وحسن الاستماع كفضيلة** يظهر فى قول "**بتاح**" : إن المستمع هو الذى يحبه الإله ، أما الذى لا يستمع (أى لا يعى ولا يفهم) فإن الإله يبغضه.

وفى قوله : ما أفضل الابن حين يستمع إلى أبيه (حين يعلمه) فإن الابن إذا استمع لأبيه ووعى ما يلقيه عليه والده فإنه لن يخيب فى مشروع من مشروعاته وما أجمل أن يستمع الابن إلى أبيه لأنه سيطول عمره من جراء ذلك.

فى إشارة إلى أهمية الاستماع بمعنى الوعى والفهم والالتزام ، فحسن الاستماع يكون مع الرغبة والطاعة والتواضع والاستعداد لتلقى العلوم والمعارف ، فالاستماع يعنى حسن استخدام **العقل**.

- **وحسن الاستماع عند "بتاح"** أدب أخلاقى رفيع لا يتحقق إلا بالبعد عن اللغو والتزام أخلاق الصدق وحسن المعاملة فالمستمع لا يكون تلميذا فقط بل قد يكون مسئولا وعندئذ يجب عليه الترفق بمن يحادثه. وفى هذا يقول **"بتاح"** لابنه "لا تكثر من اللغو ولا تسمعه ، وإذا كنت ممن يقصدهم الناس ليقدموا شكواهم فكن رحيما عندما تستمع إلى الشاكى ، ولا تعامله إلا بالحسنى" ، **ويقول أيضا** "ترفق حين تسمع حديث الشاكى ولا تنهره حتى يفضى بما فى جوفه ويحكى ما جاء من أجله ، فالمتظلم يجب أن يؤمن على قوله حتى ينهى ظلامته. والمهموم قد يفضل أن يواسيه السامع عن أن يقضى له حاجته. ومن شأن حسن الاستماع أن يريح الفؤاد.
- **ويبين "بتاح"** الفائدة العملية والعلمية من الاستماع الحسن للنصائح والحكم وهى زيادة الحكمة وثباتها أى دوامها والوعى بالحقائق وعلو القدر وتحقيق الخير ونشر الوعى بين الجميع وتحقيق المكانة الاجتماعية العالية والنجاح فى العمل وخلود السيرة والسعادة فى الدنيا والبقاء فى الآخرة.

فيقول "بتاح" مؤكدا هذا فى نصائحه : "إذا سمعت هذه النصائح التى ذكرتها لك فأن حكمتك تصير فى تقدم حقيقى ، ومهما تكن فإنها الواسطة للوصول إلى الخير ، وما أحسن ترتيبها فى كل مجال ذكرت فيه من غير تغيير يدخلها فى هذه الدنيا أبد الآبدين ، فهى النسيج الذى يصنع للتحسين وبه يتكلم الإنسان فيتعلم الكلام إذ بعد فهمها يصير أستاذا والذى يكون له

استعداد لسماع هذا الكلام ويصغى إليه ينـــال النجــاح الــذى يبلــغ بـــه الدرجـــة الرفيعة ويضمن له الكمال السرمدى فـــلا شـــئ يهولـــه أبـــدا إذ بـــالعلوم تكـــون إدارته ثابتة ويكون بها فى الدنيـــا ســـعيدا.

- **ودوام المشاورة** لا يعنـــى الخـــروج عـــن آداب الحديـــث بـــل يعنـــى ضـــرورة الالتزام بصدق المعلومـــات ، والموضوعيـــة فـــى التعبـــير والبعـــد عـــن الظلـــم والافتراء وألا يتسرع فى الحديـــث أو الحكـــم وضـــرورة تحـــرى الصـــدق فـــى جميع الأحوال   ومن أجل ذلك نصح "**بتـــــاح**" ابـــنه بوجـــوب الصمـــت عنـــد عدم التأكد من الحق وعدم اللغو فى الحديث حتى لا يحيـــد عـــن الصـــدق وقـــال له "**لا تكثر من اللغو ولا تسمعه**" وإذا كنت ممـــن يقصدهـــم النـــاس [للمشـــاورة أو الحكم] أو ليقدموا شـــكواهم فكـــن رحيمـــا عندمـــا تســـتمع إلـــى الشـــاكى ولا تعامله إلا بالحســـنى."

- **والتزام جانب الحق والصدق فـــى قولـــه** : "إن الصـــدق جميـــل وقيمتـــه خـــالدة وإنه لم يتزحزح منذ يوم خلقـــه والـــذى يتخطـــى نواميســـه يعـــاقب وهـــو أمـــام الضال كالطريق المســـتقيم".

ويقول : " حقيقة ان الشر يكسب الثروة ولكـــن قـــوة الصـــدق فـــى إنـــه يمكـــث والرجل المستقيم يقول إنه متاع والدى فى إشـــارة إلـــى اكتســـاب قيمـــة الصـــدق بالوراثة والتعلم معا من الآباء إلى الأبناء وكذا بـــاقى الفضـــائل والقيـــم.

- والقدرة على الإدراك والفهم وحسن الاستماع دليل التعلـــم ودليـــل قـــرب المعلـــم من المتعلم وشرط لنجاح عملية التعلـــم نفســـها وفـــى ذلـــك يقـــول "بتـــــاح" : "عليك أن تعلم من يستمع إليك كأنه ابنـــك ، ومـــن ســـيكون ناجحـــا فـــى نظـــر الأمراء هو من يوجه فهمه حيثما يقال لـــه لأن أكـــثر المصـــائب تـــنزل بمـــن لا يستمع".

- **أما دوام المشاورة فى قولـــه** : "تشـــاور الجـــاهل والعـــاقل لأن نهايـــة العلـــم لا يمكن الوصول إليها ، وليس هناك عالم يسيطر علـــى فنـــه تمامـــا.

فى إشارة إلى عموم المشاورة ومـــدى الحاجـة إليـها لأن العلـم لا يقـف عنـد حد معين وليس له نهاية ولذا طلب "**بتـــــاح**" مـن المعلـم أن يشـاور الجميـع العاقل والجاهل والذكـــر والأنثـى وكـل مـن يمتلـك علمـا ولـو بسـيطا لأن المشاورة طريق تحصيل العلـم والحكمـة.

- **والتزام جانب الحق والصدق فى قولـــه** : "لينطلـق قلمـك بـالحق ولا يخـط إلا الصدق بما يفيد الناس ويرضى الإله ، **وما أعظـم الحـق فـإن قيمتـه خـالدة ، فان الحق مثل الطريق السوى أمـام الضـال**".

- فالقلم عند "**بتـــاح**" رمز للعلم والحكمة الخـالدة ، والكـاتب هـو الحكيـم الـذى يعبر بقلمه خير تعبير عن الصدق والحق ، وهـو يؤكـد هـذا المعنـى بقولـه : "**إن صوت الناس يفنى ولكن صوت الكاتب أى الحكيم يعيـش أبـد الدهـر**".

ويقول : "**القلم سلاحك الذى وهبك الإله إياه وخصك به ومـيز بـه مكـانتك**".

ويقول : "**إن صوت القلم هو أعلى الأصـوات لأنـه صـوت الحـق** ، والكتابـة حاسة مقدسة يهبها الإله للكاتب لترفعه فوق الناس فـيرى مـالا يـرون ويسـمع مالا يسـمعون".

- وفى هذا تأكيد على أن الحكمة ليست مجرد أقوال وأفعال ، وليست مجرد صفـة أو مثال ، وليست مجرد فضيلة من فضائل الأخلاق ، بل هى منحة إلهيـة واسـتعداد نفسى لالتزام جانب الحق والصدق والتعبير عنه وذلك لأن الحكمة عند "**بتـــاح**" لا تتوقف على مجرد السماع والصمت أو المشاورة والتعلم بل تتوقف على تحقيـق التوازن بين جانبى الحكمة وهما العقل والقلب الذى عبر عنـها "بتـــاح" بلفـظ "اللب" وإنه إذا تحقق هذا التوازن نطق قلم الحكيم بالحق والصدق.[1]

---

[1] راجع الفكر المصرى القديم وحكم امحوتب فى :
- الكاتب المصرى : د. سيد كريم ص٢٠/٩.
- الشرق الأدنى القديم جـ١ د. عبد العزيز صالح ص١٤٥ وما بعدها.
- حضارة مصر القديمة جـ١ د. عبد العزيز صالح ص٣٧٨ – ٣٨٠.

(٣) فضيلة الصداقة :

من الفضائل الاجتماعية التى تدعم قيمة الفرد وتحافظ على كيان المجتمع. ويرى "**بتاح**" أن الصداقة لها متطلباتها الأساسية وفى مقدمتها الصدق والاستقامة والبعد عن الشرور والإخلاص والثقة والتعاون.

وقد استطاع "**بتاح حوتب**" إدراك العلاقة بين قيمة الصداقة وأثرها الإيجابى على النفس وبين الصداقة وغايتها الأخلاقية فى تحقيق الاستقامة والبعد عن الشر.

وإذا كان الصدق قول وفعل وأخبار عن معتقد حق فمجاله الصداقة وغايته تحقيق التآلف والتقارب وتدعيم ثقة المرء بنفسه وغيره. لأن من الصدق تتولد الصداقة الحقيقية ولأنه لا صداقة إلا مع الصدق ولأن الصدق معيار للحكم على الصداقة هذا المعنى ما أكده "**بتاح**" حين يقول : "**إن الصدق جمال للنفس وكمال لها ، وإن الصدق جميل وقيمته خالدة ، وإن الصدق هبة إلهية وقانون سماوى لم يتزحزح منذ يوم خلقه والذى سيتخطى نواميسه يعاقب.**

فهو أمام الضال كالطريق المستقيم وأن الخطأ لم يقد مقترفه إلى الشاطئ.

- والصداقة عند "**بتاح حوتب**" لا تكون إلا مع الاستقامة ، وأن مع الصداقة يكون الخير والفلاح لأن عماد الصداقة الصدق والاستقامة معا. وهو يقول فى هذا : "**إذا كنت تبحث عن أخلاق من تريد مصاحبته فلا تسأله ولكن اقترب منه وكن معه منفردا**" ، وأمتحن قلبه بالمحادثة فإذا أفشى شيئا قد رآه وأتى أمرا تخجل له فعندئذ أحذر منه حتى أن تجاوبه **(أى تقترب منه أو تصادقه)**".
- **والصداقة بهذا المعنى** أساس لصلاح الفرد والمجتمع لأنها تقوم على الصراحة والتعاون والتفاهم ، فالصداقة فى حقيقتها صدق وخير وهى **كالطريق المستقيم أمام الضال ، ويقول : حقيقة إن الشر يكسب الثروة** ولكن قوة الصدق فى إنه يمكث والرجل المستقيم يقول إنه مفتاح والده فى إشارة إلى أن أفضل ما يرثه الابن عن أبيه هو قول الصدق وحب الصداقة التى تقيه الشرور.

- **والصداقة عنـــد "بتــــــاح"** لا تكـون إلا مــع صـــدق المعاملـــة والإخـــلاص والود بين الأصدقاء الذى يظهر واضحا فـــى كـــرم الصديـــق لصديقـــه ووقوفـــه معه عند الشدائد والمصـــــائب وأوقـــات الســـخط والضيـــق وهـــو يوضـــح هـــذا **فيقول** : "أشبع لأصدقائك بما جد لك كإنسان نال الحظـــوة عنـــد الإلـــه **[الحـــاكم]** ومن الحزم أن تفعل ذلك إذ ليس هنـــاك إنســـان يعـــرف مصـــيره إذا فكـــر فـــى الغد ، فإذا أصابت المقربيـــــن مصيبـــة فـــان الأصدقـــاء هـــم الذيـــن لا يفتـــأون يقولون مرحبا لـــــه فعليـــك أن تســـتبقى ودهـــم لوقـــت الســـخط[1] الـــذى يـــهدد الإنســـان.

- وقد أشار **الدكتور / مصطفى النشار إلى** مـــدى اهتمـــام فلاســـفة اليونـــان بقيمـــة الصداقة وخاصة **أرسطو فى** كتابـــه : **"الأخـــلاق إلـــى نيقومـــاخوس"** حيـــن تحـــدث عن أهمية الصداقة ودورها فى بنـــاء الدولـــة لان الصداقـــة وســـيلة للـــترابط وقيـــام دعائم التعاون والتفـــاهم والإخـــلاص وكلـــها لا تقـــوم إلا مـــع الصداقـــة واستشـــهد بقول **أرسطو** : إن الصداقة عندما تســـود بيـــن المواطنيـــن تقـــوى الدولـــة ويـــترابط الأفراد ويسود العدل ، فلو سادت الصداقـــة بيـــن المواطنيـــن لمـــا احتجنـــا لتطبيـــق العدالـــة.

- كما أشار إلى تمييز أرسطو بين صداقة المنفعـــة كصداقـــة وقتيـــة زائلـــة وبيـــن الصداقة الحقة كقيمة خلقية دائمة ، وتأكيده علـــى أن الصداقـــة الحقيقـــة هـــى التـــى تكون لـــذات الصداقـــة ولا ترتبـــط بلـــذة أو منفعـــة ، لأن الصداقـــة الحقيقـــة هـــى صداقة الخير وهى دائمة". **ويمكن القـــول** : أن آراء **"بتـــاح حوتـــب"** فـــى فضيلتـــه الصداقة فضلا عن السبق الزمنى فإنـــها كـــانت أكـــثر واقعيـــة ومنطقيـــة مـــن آراء أرسطو إذ تمكن بتاح من بيان الآثار العمليـــة للصداقـــة ومجـــالات تطبيقـــها وكيفيـــة تحققها ولم يكتفى ببيان ماهيتها ، بل مهد إلى بيـــــان فوائدهـــا العمليـــة فـــى الإطـــار الاجتماعى وهى فوائـــد ماديـــة ومعنويـــة معـــا وأن هـــذه الفـــائدة تـــدوم مـــادامت

---

[1] **وقت السخط** : هو وقت الشدائد والملمات ووقت المرض والضيق ، ووقت الحاجة والعوذ.

الصداقة قائمة على الخير والصدق والعدل ، ففي الصداقة منفعة حين الشدة والضيق وحاجة الصديق لصديقه فهى صداقة خير لأنها تقوم على الود والتعاون والكرم الذى يجب أن يتحلى به الصديق دائما لأن ذلك واجب والتزام خلقى........[1]

- **ولكى تدوم هذه الصداقة وضع " بتاح " بعض المحاذير أو المعايير حتى** تكون هذه الصداقة حقيقة ومفيدة ، فالصداقة تتطلب البعد عن الشرور والآثام ، كما تتطلب إخلاص الصديق للصديق واحترامه والمحافظة على أسراره والبعد عن مفسدات الصداقة التى **حددها "بتاح" بقوله : "** إذا أردت **أن تحافظ على الصداقة فى** بيت تدخله سيدا أو **أخا** أو صاحبا فأحذر القرب من النساء فإن المكان الذى هن فيه ليس بالحسن ، ومن أجل هذا يذهب إلى الهلاك. ومن أجل دوام الصداقة حذر " **بتاح** " من الاختلاط أو الاقتراب من النساء فى بيوت الأصدقاء لأن ذلك يفسد الصداقة ويورد الهلاك أو الموت **وهو يؤكد هذا فيقول** : "إذ أن ألف رجل قد يذهب بسبب متعه برهة قصيرة تضيع كالحلم ولا يجنى الإنسان من معرفتهم غير الموت[2].

(٤) فضيلة الاعتدال :

الاعتدال لغة هو التوسط وفى الاصطلاح هو العفة وعدم التحيز لهوى أو لفئة دون أخرى.

---

[1] د. **مصطفى النشار** : مجلة الجمعية الفلسفية المصرية – العدد الأول ١٩٩٢.

[2] **راجع فى ذلك ما ذكره كل من :**

- جيمس همزى برستيد فى : فجر الضمير (ترجمة) ، ص ١٤٨.
- د. سليم حسن **فى** : مصر القديمة جـ ١ ص ٤٢٢ – ٢٢٣.
- د. **أميرة حلمى مطرفى** : الفلسفة عند اليونان ، ص ٣٣٧.
- السيد أبو ضيف المدنى : الأخلاق فى الأديان السماوية – دار الشروق ط ١٩٨٨ ، ص٨٠.
- د. مصطفى النشار : مجلة الجمعية الفلسفية المصرية العدد الأول – ص ١٩٩.

والاعتدال شرعا هو العدل الذى أمرنا الله به فى قوله ﴿اعدلوا هو أقرب للتقوى﴾ [المائدة ٨]

وقوله تعالى : ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان﴾ [النحل ٩٠]

وقوله تعالى : ﴿وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل﴾[النساء ٥٨]

وقوله تعالى : ﴿وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى﴾ [الأنعام ١٥٢.]

والاعتدال عند بتاح حوتب هو ضبط النفس وعدم الإسراف ويتحقق الاعتدال بالبعد عن الشراهة وهو الطمع والإقبال على الدنيا وحب الذات..

- وتظهر أهمية فضيلة الاعتدال عند الفلاسفة ورجال الأخلاق والمتصوفة كذلك. فكان الاعتدال عند "**هيراقليط**" هو ضبط النفس "ولا يؤديه سوى النفس الجافة البعيدة عن الشراهة والشهوة وهى الأحكم والأفضل. ونفس المعنى هو الذى أشار إليه بتاح من قبل "**هيراقليط**" بألفى عام حين أكد على أن الاعتدال يكون فى ضبط النفس وعدم الإسراف ، فالاعتدال نظام تمارسه النفس لخيرها ، ولا يكون الاعتدال عند بتاح إلا فى البعد عن الشراهة والطمع ، فالشراهة من أكبر القبائح وأخطر الأمراض التى تصيب النفس. وقد عبر بتاح صراحة عن ذلك بقوله : " **إذا أردت أن يكون خلقك محمودا وأن تحرر نفسك مما هو قبيح فأحذر الشراهة فإنها مرض مملوء بالداء ولا شفاء له**" والصداقة معها مستحيلة فإنها تجعل الصديق العذب مرا وتقصى ذا الثقة عن سيده وتجعل كلا من الأب والأم قبيحا وكذلك الأخوال ، وتفصل الزوج عن زوجته وهى **(أى الشراهة)** حزمة من كل أنواع الشر وحقيبة من كل شئ مرذول ، وأن الرجل الذى يتبع طريقة حقه فى سلوكه ويسير على الصراط السوى يعيش طويلا ويكسب الغنى بذلك ولكن الشره لا قبر له.
- ويحدد بتاح مجال ممارسة الاعتدال كقيمة خلقية يجب أن يتحلى بها المرء فى جميع شئونه ومعاملاته وأمور حياته اليومية فى بيته ومع أهله وأسرته وأقاربه وأصدقائه بحيث يتحول الاعتدال إلى منهج حياة للحفاظ على نفس الفرد والأسرة والعلاقة الطيبة مع الصديق والرئيس والزوجة والأبناء

والأمهات والأخوال. ولكي يتحقق ذلك عمليا نصح بتاح ابنه بذلك فقال له :
"ولا تكونن شرها فى القسمة (أى معتدلا فى طلبك للحق)."

"ولا تكونن ملحا إلا فى حقك (فلا تتطلب غيره ولا أزيد منه)."

"ولا تطمعن فى مال أقاربك ، فإن القليل الذى اختلس منه يولد العداوة حتى عند صاحب الطبع اللين."

"فى إشارة واضحة إلى أن الشراهة تبعد عن الاعتدال وتظهر فى **الإلحاح والطمع وأكل الحقوق والأموال وتورث البغضاء والحقد والكراهية بين الأهل والإخوان والأصدقاء".**

- وكان الاعتدال عند **"سقراط وأفلاطون"** فى معرفة النفس وقواها والتحكم فى أهوائها ومعرفة ما يناسبها ، ولا يتم ذلك إلا بالعقل الذى يدرك جوهر النفس ويقودها إلى الحق والخير والصدق ، فإذا تم الإدراك هذا كان ضبط النفس لأن النفس أدركت الخير ففعلته وابتعدت عن الشر والظلم وعرفت الصدق فلم تكذب ولم تجبن.

* وإذا تأملنا أقوال بتاح فى فضيلة الاعتدال نرى تطابقا فى معنى الاعتدال كضبط للنفس وبعد عن الشراهة ، فإذا كان أفلاطون يرى الاعتدال فى تحلى النفس البغيضة بفضيلة العفة وأن تتحلى النفس البغيضة بفضيلة الشجاعة وأن تتحلى النفس العاقلة بفضيلة الحكمة ، فإن **"بتاح"** دعا إلى استخدام العقل لتحقيق الاعتدال وضبط النفس والبعد عن الشراهة فقال **"اتبع لبك"** أى اتبع عقلك الواعى المفكر لأنه الحكم العدل وضابط شهوات النفس ، فالعقل عند **"بتاح"** هو الذى يحقق الاعتدال والتوسط.

- والاعتدال عند **"بتاح"** يعنى تحقق العدالة والتزام جانب الخير والنظام والعدالة تتحقق مع **الالتزام بالحق والصدق والذى بهما يتحقق كمال النفس** وعلاج كل نقص أو مرض من أمراض النفس والهوى كالغش والكذب والغرور والتعالى. ولهذا حرص **"بتاح"** على بيان كيفية تحقق العدالة :

- والعدالة تتحقق مع الاستقامة والصدق فيقول **"بتاح"** "إن الصدق جميل وقيمته خالدة ، وإنه لم يتزحزح منذ يوم خالقه ، والذى يتخطى نواميسه يعاقب ، وهو أمام الضال كالطريق المستقيم "

- والعدالة تتحقق مع الحرص على هدوء النفس والبعد عن الانفعال ، وهذا الحرص هو الذى يدفع الفرد إلى أن يدقق فى اختيار مناسبات صمته ومناسبات كلامه حتى يراعى التوسط فى معاملاته ومطالب بدنه ، فالعدل تكافؤ ومساواة وعدم تحيز وبعد عن الإسراف أو التطرف فى القول أو الفعل بجميع أنواعه سواء كان هذا الفعل جادا أو مرحا أو لهوا وهذا هو الاعتدال المطلوب والذى يحققه تحكيم العقل وتحقيق التوازن ورغبات القلب والهوى دون تفريط أو إفراط ، ولذا كان نداء **"بتاح" إلى استخدام العقل لتحقيق الاعتدال فقال : "اتبع لبك مادمت حيا ولا تفعلن أكثر مما قيل لك ولا تنقص من الوقت الذى تتبع فيه قلبك ، ولا تشغلن نفسك يوميا بغير ما يتطلبه بيتك** وعندما يؤتيك الثراء متع نفسك لأن الثراء لا تتم فائدته إذا كان صاحبه معذبا".[1]

(٥) فضيلة التسامح:

التسامح فى اللغة يعنى العفو والرضا والتساهل أو المسالمة ، وعرف فى الاصطلاح بمعنى الموافقة على رأى مع إظهار القناعة والفهم دون معارضة ، وفى المعنى العام عرف التسامح بأنه العفو عند المقدرة ، والصفح .

والتسامح عند **"بتاح حوتب"** اسم مشتق من السماحة الظاهر فى بشاشة الوجه وأمان النفس ، وعندما طالب **"بتاح"** ابنه بالتسامح قال له : **"وكن سمح الوجه مادمت حيا ، فان ما يخرج من الشونة لا يعود فيدخلها "** ولم يكتف **"بتاح"** بالدعوة إلى التسامح كفضيلة أخلاقية يجب أن يتحلى بها المرء لتكمل

---

(١) - **د . مصطفى النشار** : المجلة الفلسفية : ٢١٣ - ٢١٤ .
- **د . سليم حسن** : مصر القديمة : ص ٤٢١ - ٤٢٢ .

صفاته وتكثر حسناته وينجح فى مختلف أمور حياته بل حرص على بيان حقيقة التسامح وأهميته ومجالات ممارسته.

أ) حقيقة التسامح عند "بتاح حوتب" فى صفات أربعة هى :

المسالمة – والإخلاص – والتواضع – والرحمة.

وهو ما يظهر فى لين المعاملة أو المعاملة بالحسنى ذلك لأن التسامح يجب أن يبدأ بالمسالمة ، والمسالمة كسلوك سلمى يجب أن يتصف بالخير والتواضع والرحمة. ولتأكيد هذه المعانى قال "بتاح" لابنه: "إذا كنت ممن يقصدهم الناس ليقدموا شكواهم فكن رحيما عندما تستمع إلى الشاكى ولا تعامله إلا بالحسنى".

ولأن التسامح من دوافع الرحمة والعدل والمسالمة والبعد عن العنف حذر بتاح ابنه من مخاطر التخلى عن التسامح ودعاه إلى التمسك بفضيلة التسامح فقال له : لا توقع الفزع فى قلوب البشر لئلا يضربك الإله بعصا انتقامه". وقال له أيضا : "ساير نفسك ما حييت ، ولكن لا تتجاوز العرف" فى إشارة إلى أن التسامح لا يعنى الخروج عن العرف والتقاليد . بل هو فى حقيقته التزام أخلاقى وسلوك إنسانى رفيع وهذا ما بينه بتاح لابنه حين قال له : لا تتشاجر مع أى شخص عظيما كان أو بسيطا فان ذلك أمر كريه فلم يحدث أبدا إن عمل السوء يوصل صاحبه سالما إلى مأمنه .

(ب) مجالات التسامح :

حدد "بتاح" ثلاثة مجالات للتسامح هى المجال الاجتماعى والمجال الوظيفى ومجال التعلم.

ففى المجال الاجتماعى :

يظهر التسامح عند تطبيق مبدأ العدل الاجتماعى فى الإطار الأسرى سواء بين الزوج والزوجة أو الوالد وأبنائه أو الأخوة والجيران . حيث يتحقق التسامح فى مظاهر الطاعة والحب والود وحسن الاستماع والود من الأبناء للآباء

وطاعتهم ، وقد عبر بتاح[1]عن ذلك بقوله : **"إن الابـــن المســـتمع المطيـــع يحبـــه الإلـــه ، والكلام الطيب هدية مـــن الله".**

كما يظهر فى مسامحة الزوج لزوجته وإظـــهار الـــود والرحمـــة والشـــفقة بـــها وحسن الإنفاق عليها وتلبية احتياجاتها ، ولذا نصـــح بتـــاح ابنـــه بالتســـامح الدائـــم مـــع زوجته فقال له : إذا تزوجت امرأة فلا تعنفها بـــل دعـــها منشـــرحة الصـــدر أكـــثر مـــن نساء بلدها ... إذا كنت شخصا عاقلا فأحبب زوجتك التـــى تعيـــش فـــى مـــنزلك بصـــدق وأمانة ، وقدم لها أطيب الطعام وأكســـها بـــأفضل الكســـاء وقـــدم لـــها أزكـــى العطـــور وأدخل السرور إلى قلبها طيلة حياتـــها".

والتسامح عند "بتـــاح" لا يتوقف عنـــد حســـن معاملـــة الـــزوج لزوجتـــه أو الابن لأبيه بل يتعدى إلى حـــدود الجـــيران والأصدقـــاء ، فالمتســـامح يجـــب أن يبتعـــد عن القسوة والعنف ويجب أن يصفح عن هفوات الجـــيران وخطـــأهم ، وهـــذا مـــا طلبـــه بتاح حين قال : **"لا تكن سيئ الخلق مع جـــيرانك ، والصفـــح عـــن الســـفيه خـــير مـــن القسوة ، فإن أخطأ الزعلان فى حـــق جيرانـــه لا يـــدرك كيـــف يوجـــه كلامـــه (دليـــل الغضب والحزن أو الشعور بالندم) وبدل مـــن أن تكـــون الإســـاءة قليلـــة سينشـــأ عنـــها الكدر مكان الصفـــو".**

والتسامـــــح يجب أن يكون مع جميع الأهـــل وحســـن معاملتـــهم ، وهـــذا مـــا نبه إليه بتاح حين قال :أحسن العمل مـــع أهلـــك كمـــا يناســـب لأن هـــذا فعـــل يفضلـــه **الإله ومن قصر فى حسن العمل مع أهله يقال عنه إنـــه رجـــل ملعـــون .**

وفــى المجــال الوظيفــى :

يجب أن يسود التسامح بين الرئيـــس والمـــرؤوس لأن التســـامح سيســـاهم فـــى إنجاز الأعمال ، فالتسامح هنـــا يظـــهر فـــى حســـن الاســـتجابة مـــن الرئيـــس وطاعـــة المرؤوس. ومن أجل ذلك طالب بتاح بالتســـامح الظـــاهر فـــى رفـــق المعاملـــة والتـــأدب

---

[1] بتاح حوتب رائد الفكر الأخلاقى فى مصر القديمة - د . مصطفى النشار - مجلة الجمعيـــة الفلســـفية العدد (١) -يونيو ١٩٩٢ م - ص ٢٨١ - ٣٨٣ .

عند التخاطب وسعة الصدر ومواساة أصحـاب الحاجـات والشـكاوى والمظلوميـن مـن المرؤوسين. **فقـال** : "ترفق حين تسمع إلى حديـث الشـاكى حتـى يقضـى بمـا فـى جوفه ويحكى ما جاء من أجله ، فالمتظلم يجـب أن يؤمـن السـامع علـى قولـه حتـى ينهى كلامه والمهموم قد يفضل أن يواسيه السـامع عـن أن يقضـى لـه حاجاتـه ومـن شأن حسن الاستماع أن يريح الفـؤاد .

- كما دعى بتاح إلى حسن المعاملة والشفقة مـع أصحـاب الحاجـات فـهم أحـوج الناس إلى التسامح والصفح . **فقال لابنه** : إذا كنـت ممـن يقـدم لـهم الشـكاوى فكن شفيقا حين تسمع كلام المتظلـم ولا تسـئ معاملتـه إلـى أن يغسـل بطنـه وإلى أن يقول ما قـد جـاء مـن أجلـه ، وأن المتظلـم يحـب كثـيرا أن يـهز الإنسان رأسه إلى كلامه وأن مجلسا حسنا يسـر القلـب" الـخ...

(وواضح من مقابلة النصين إنـه مجـرد تعـدد فـى الترجمـة لنـص واحـد لأقوال بتاح حوتـب).

وفى مجال التعلم :

دعى بتاح إلى التسامح مع المتعلم ، فالتسـامح شـرط لحصـول التعلـم **فقـال** : "عليك أن تعلم من يسـتمع إليـك كأنـه ابنـك "ولا تكـن متكـبرا ولا تكونـن منتفـخ الأوداج وإذا فاه أخوك بالشر فانصحه ولا تتعالى لأنـك رجـل عـالم ".

(جـ) أهمية التسامح :

كما حدد بتاح أهمية التسامح كفضيلة عملية لها أهميتها للفرد والمجتمع فى تحقيق الرضا والقناعة وأمان النفس وكف الغضب عن الآخرين وحسن المعاملة للجـيران فقـال : "إذا غضبت ولا دواء لذلك أو كنت معنفا من قبل أحد فصد عنه بوجهك **(أى سـامحه)** ولا تفكر فيه حتى يكف الكلام عنك" . فى إشارة إلى قول الحق سبحانه وتعـالى : ﴿ادفع بالتى هى أحسن فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم﴾ [فصلت ٣٤]

- والتسامح عامل من عوامل تقوية الروابط الاجتماعيـة داخـل الأسـرة وتحقيـق الأمن النفسى وفى ذلك **يقـول بتـاح** : "والمـهموم قـد يفضـل أن يواسـيه

السامع ومن شأن حسن الاستماع أن يريح الفؤاد .. والمجلس الحسن يريح القلب.

- **ومن فوائد التسامح** التى أشار إليها **"بتاح"** أن يشفى النفس من أمراضها التى لا دواء لها كالغرور والتكبر ولذا فالتسامح وحده هو الذى يعود النفس على العطاء والتواضع ولذا كانت نصائح بتاح إلى التسامح فقال "إن مهموم النفس طوال يومه لن يصيب لنفسه فترة هنيئة ومكشوف النفس طوال يومه لن يشيد لنفسه دارا سعيدة ومن أطاع بدنه كان عدوا **لنفسه**".

- **ولأن التسامح** يحقق التواضع ويبعد عن الغرور حرص **"بتاح"** أن يذكر ابنه دائما بأوقات الشدة والحاجة والفقر قبل الغنى والثروة ليكون دائما متسامحا ومعطاءا لأصحاب الحاجات فقال له : "إذا أصبحت عظيما بعد أن كنت صغير القدر وصرت صاحب ثروة بعد أن كنت محتاجا فلا تنسين كيف كانت حالتك فى الزمن الماضى".

ومن أهمية **"التسامح"** أيضا أنه يشفى النفس من مرض الشراهة والطمع العضال بل هو الذى يحقق التواضع والاعتدال. وفى ذلك قال بتاح **"ولا تكونن شرها فى القسمة ، ولا تكونن ملحا إلا فى حقك ولا تطمعن فى مال أقاربك فإن القليل الذى اختلس منه يولد العداوة حتى عند صاحب الطبع اللين".**

(٦) فضيلة الصمت :

يعتبر الصمت من الفضائل الاجتماعية كالتواضع والصدق والاعتدال والتسامح ، وقد آثار انتباه العديد من رجال الأخلاق والدين وخاصة بعد أن أشار إلى أهميته القرآن الكريم والحديث النبوى ، حيث ارتبط بالقول والتعبير عن الرأى أحيانا كما ارتبط بالطاعة والسمع والتأدب أحيانا والتعبير عن الحكمة والفهم أحيانا أخرى.

ففى سورة الإسراء جاء لزوم الصمت للتعبير عن طاعة الوالدين والرحمة بهما فى قوله تعالى : ﴿وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما ۝ واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا﴾[الإسراء ٢٣ ، ٢٤]

- أما فى الحديث النبوى الشريف : "فقد جاء الصمت للدلالة على قوة الإرادة والفهم والعلم بحقيقة الأمور وتقدير متى يجب الكلام ومتى يجب الصمت وهذا هو صمت الحكمة وعندها يكون فضيلة . وهذا ما دعى إليه النبى ﷺ حين قال : [عليكم بقلة الكلام ، فإنك ما كنت ساكتا فأنت سالم فإذا تكلمت فلك أو عليك].

ويقول أيضا: [الصمت حكمه وقليل فاعله][1]

- وعند بتاح حوتب جاء الصمت بمعنى الحذر الذكى المطلوب عند حسن الاستماع كما جاء للدلالة على التواضع والاحترام كما جاء للدلالة على عزة النفس وعلو القدر وتمام الفهم .

فالصمت عنده فضيلة لازمة عند السماع وفيه يقول : ما أجمل أن يستمع الابن إلى أبيه لأنه سيطول عمره من جراء ذلك ، ولأن من يستمع يظل محبوبا من الإله.

والصمت حكمة لازمة عند الشعور بالخطر والحذر من الوقوع فى الخطأ ولهذا حرص "بتاح" تنبيه ابنه إلى ذلك فقال له : "عليك الالتزام بالحذر فى حضرة العظماء".

وعليك باحترام الرئيس طبقا لما وصل إليه دون النظر إلى أصله قبل رئاسته لأن الثمرة لا تأتى عفوا : وعليك بالتحلى بالصمت أمام الرئيس

---

[1] الفضائل الخلقية فى الإسلام : د . أحمد عبد الرحمن إبراهيم - ص٢٤٥ - ٢٤٧.

ولا تتكلم إلا بعلم وحين تسجل المعضلات ، لأن صناعة الكلام أصعب من أى حرفة أخرى.

- **وهكذا قدم "بتاح حوتب"** بعض مبررات الصمت منها صعوبة الكلام بمعنى صعوبة التعبير والرغبة فى البعد عن اللغو وإبداء الاحترام للعظماء والبعد عن ضرر الآخرين وإظهار عزة النفس وإخفاء الحكمة والحفاظ على المعرفة وبقائها.

وجاءت عباراته واضحة للتدليل على هذه المعانى حين قال : "لا تكثر من اللغو ولا تسمعه".

"إذا وجدت خطيبا فى زمانك سليم العقل أمهر منك فأثن له ذراعك وأحنى له ظهرك ، أما إذا تكلم جهرا فلا تقصرن حينئذ فى مقاومته حتى ينادى به فى الناس أنت إنسان جاهل . ولكن إذا كان مماثلا لك فأظهر بصمتك إنك أفضل منه إذا أخطأ فى الكلام وعندئذ سيمدحه السامعون ولكن اسمك سيعتبر حسنا بين العظماء".

- **والصمت عند "بتاح حوتب"** ضرورة للتعبير عن الحكمة والخلود لأن صمت الحكمة أفضل من الكلام وتعليل ذلك عند بتاح أن صوت الناس يفنى ولكن صوت الكاتب يعيش أبد الدهر".

وفى الصمت عزة النفس وعلو القدر وفى ذلك يقول **"بتاح"** : عزة النفس هى أن تزكو سمعتك بغير أن تتكلم ويطريك الناس من حيث لا تعلم ولقد عزت نفوس إتباع الإله وحده".

وظلت فضيلة الصمت مثار الجدل والحوار عند رجال الدين والأخلاق فمنهم من ذم الصمت وأعتبره رذيلة ومنهم من جعله قمة للفضائل وحسن الخلق.

فالصمت فضيلة مرغوبة عندما يكون هو الكف عن الكلام الخاطئ . وعند تجنب زلات اللسان وعند الحذر من الخطأ والكف عن الأذى عن الآخرين

وهذا هو النوع الذى وصفه النبى ﷺ كوقاية من المخاطر حين قال: "إنك ما كنت ساكتا فأنت سالم فإذا تكلمت فلك أو عليك" . **والصمت لازم عندما يكون الكلام مزموم** وعند لغو الكلام وعند العجز عن معرفة وجوب الصواب من الأمر وهذا ما يقصده الشرع من قوله تعالى : **﴿والذين هم عن اللغو معرضون﴾**[1]

ووصف القشيرى فى رسالته مدى إيثار الصالحين للصمت عند خشية آفات الكلام فيلزم الصمت تجنبا لتلك الآفات .

ويعلل القشيرى لزوم الصمت عندهم بقوله : "فلما علموا ما فى الكلام من الآفات ثم ما فيه من خطر النفس وإظهار صفات المدح والميل إلى أن يتميز المتكلم بين أشكاله بحسن النطق لذموا الصمت وقدموه على الكلام"[2]

.

وكان الإمام الغزالى من المؤيدين للصمت كفضيلة أخلاقية وأستدل على ذلك بقوله : إن ثلاثة أرباع الكلام يجب تركها والربع الأخير فيه خطر إذ يمتزج بما فيه من إثم من رقائق الرياء والتصنع والغيبة وتزكية النفس وفضول الكلام امتزاجا يخفى دركه فيكون الإنسان به مخاطرا[3].

والصمت عند الغزالى مقدم على الكلام ولازم لتزكية النفس وإكمالها وشفائها من كل نقص وآفة وهو يقول :"أعلم إن كثرة آفات اللسان من الخطأ والكذب والغيبة والنميمة والرياء والنفاق والفحش والمراء وتزكية النفس والخوض فى الباطل والخصومة والفضول والتحريف والزيادة والنقصان وإيذاء الخلق وهتك العورات .

---

[1] المؤمنون : (٣).

[2] الرسالة للقشيرى حـ ١ ص ٣٧٨.

[3] أحياء علوم الدين للإمام الغزالى حـ ٣ ص ١٤١.

فهذه آفات كثيرة وهى سباقة إلى اللسان لا تـثـقـل عليـه ولـها حـلاوة فـى القلب وعليها بواعث من الطبع ومن الشـيطان والخـائض فيـها قلمـا يقـدر أن يمسك اللسان فيطلقه بما يجب ويكفه عمـا لا يجـب[1]

ورغم ما للصمت من فوائد أخلاقية واجتماعية ومـا فيـه مـن حكمـة وتسـامح وتواضع وخير فإن الكثيرين يذمـون الصمـت ويعتبرونـه رذيلـة وقـالوا: "إن الصمت يذم عند السكوت عـن الحـق ، والصـامت يـأثم إذا لاذ بـالصمت إزاء الكذب والتضليل والجور علـى الحقيقـة والصمـت يـذم أيضـا عنـد وجـوب الكلمة الطيبة وعند الصدق والشهادة واسـتدل أصحـاب هـذا الـرأى بـالحديث النبوى: **"إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله لا يلقـى لـها بـالا يرفعـه الله بها درجـات".**

ويقول النبـى ﷺ أيضـا : [إن من أفضل الأعمال كلمة حق تقال عند سلطان جائر].

وقولـه ﷺ : [من سكت عن الحق فهو شيطان أخرس].

وكانت هذه الأدلة كافية لقولهم بأن الصمت رذيلـة عندمـا يكـون سـكوت عـن الحق **ورأى بعض فقهاء الكـلام** أن الصمـت فضيلـة محـدودة القيمـة أو هـو فضيلة مرذولة وغير محببة وذم بعضهم الصمـت فقـال :

- **الإمام الشاطبى فى الاعتصام** : "إن القول بان الصمـت فـى ذاتـه عبـادة فذلـك القول هو من البدعـة".
- **وقال الراغب الأصبهانى فى الذريعة** : "إن الصمـت مـن حيـث هـو الصمـت مذموم فذلك من صفات الجمـادات".
- **وقال الأحنـف بـن قيـس** : " النطـق أفضـل لأن فضـل الصمـت لا يعـود صاحبه ، والمنطق الحسن ينتفع به مـن سـمعه".

---

[3] الأحياء جـ ٣ وفى الفضائل الخلقية فى الإسلام ص ٢٤٦.

- **وقال السفارينى فى غذاء الألبـــاب** : "والمعتمـــد أن الكـــلام أفضـــل لأنـــه مـــن باب التحلية والسكوت من التخليـــة ، أفضـــل لأن المتكلـــم حصـــل لـــه مـــا حصـــل للساكت وزيادة وذلك أن غاية ما يحصل للساكت الســـلامة ، وهـــى حاصلـــة لمـــن يتكلم بالخير مع ثواب الخـــير.[1]

تقييم فلسفة "بتاح حوتب" :

- **قدم الدكتور عبد العزيز صالح** فى الجزء الأول مـــن كتابـــه : **"الشـــرق الأدنـــى القديـــم"** تقييمـــا لفكـــر **"بتـــاح حـــوتـــب"** ضمـــن الإطـــار العـــام للحضـــارة المصرية القديمـــة ، وذهـــب إلـــى أن **"بتـــاح حـــوتـــب"** قـــدم فكـــرا فلســـفيا ومنهجا تربويا فى كيفية بناء الأســـرة المتماســـكة وعوامـــل بنـــاء المجتمـــع الســـليم وما يجب أن تكون عليه الأســـرة والفـــرد كأســـاس فـــى هـــذا البنـــاء ورأى أن مـــا قدمه **"بتـــاح"** من حكـــم ونصـــائح هـــو خلاصـــة الخـــبرات والتجـــارب والحكـــم والعادات المتوارثة والمستمدة من تراث كبـــار الحكمـــاء والأدبـــاء وكذلـــك الرســـل والأنبياء السابقين عليـــه.

كما أشار إلى مـــدى اهتمـــام **"بتـــاح"** ببيـــان مكونـــات الشـــخصية الســـوية والتنبيه إلى أهميـــة الجـــانب النفســـى والانفعـــالى فـــى إحـــداث التـــوازن فـــى الشخصية وتحقيق الرضا والشعور بالســـعادة ، وكيـــف كـــان **"بتـــاح"** يقـــدم الجانب المعنوى على الجوانب الحسية والماديـــة المكونـــة للشـــخصية.

وقد استدل **الدكتور / عبد العزيز صـــالح** علـــى رأيـــه ببعـــض حكـــم **"بتـــاح حـــوتـــب"** منها "ساير نفسك ما حييت ولكـــن لا تتجـــاوز العـــرف ، وإيـــاك أن

---

[1] راجع : الفضائل الخلقية فى الإسلام : د. أحمد عبد الرحمن إبراهيم – دار الوفاء طبعة أولـــى ١٩٨٩ (ص ٢٤٥ / ٢٤٨)
- أحياء علوم الدين : للإمام أبو حامد الغزالى حـــ ٣ ص ١٤١.
- غذاء الألباب للسفارينى ص ٧٢ ، الذريعة للراغب الأصبهانى ص ١٠٢-١٠٣.
- وفى الاعتصام للشاطبى.

تبتر ساعة المتعة فالنفس تأبى أن يفسد وقـــت متعتـــها وعندمـــا يواتيـــك الـــثراء ينبغى أن يستمع القلب ، فلن يجدى الثراء إذا أهمـــل القلـــب.

وكن سمح الوجه ما دمت حيا فإن ما يخـــرج مـــن الشـــونة لـــن يعـــود فيدخلـــها واستدل على اهتمام "**بتـــاح حـــوتـــب**" بالأسرة ومـــا يجـــب أن تكـــون عليـــه علاقة الزوج بالزوجة مـــن رعايـــة واهتمـــام وحـــب بقـــول "**بتـــاح**" لابنـــه "إذا أصبحت كفئا كون أسرتك وأحبب زوجتك فـــى حـــدود العـــرف ، وعاملـــها بمـــا يجب أن تستحق ، فأشبع جوفـــها وأســـتر ظـــهرها وعطـــر بشـــرتها بـــالدهن ، وأسعدها ما حييت ، فالمرأة حقل نافع إلـــى آمرهـــا "**ولـــى أمرهـــا** " ولا تتهمـــها عن سوء ظـــن وامتدحـــها تـــأمن شـــرها فـــإذا نفـــرت راقبـــها واســـتمل قلبـــها بعطاياك تستقر فى دارك وسوف يكيدها أن تعاشرها ضـــرة فـــى دارهـــا.[١]

- وقد أشار الدكتور سليم حسن فـــى الجـــزء الأول مـــن كتابـــه "الأدب المصـــرى القديم" إلى أهمية حكم "**بتـــاح حـــوتـــب**" فى يقظـــة الوعـــى المصـــرى.

وأكد على أن مواعظ "**بتـــاح**" وحكمه التى ظلـــت منـــارة يســـتضاء بـــها فـــى معايير الأخلاق ، وأن هـــذه النصـــائح والآراء فـــى الديـــن و الأخـــلاق بقيـــت حكمـــها آلاف السنين كإرشادات وتعاليم دالة على الحكمة وداعيـــة لحســـن الخلـــق ، وقـــد أعـــتز بها المصريون فى جميع عصورهـــم.[٢]

- **وعن أهمية حكم "بتاح حوتب"** فـــى بيـــان وحدانيـــة الله وقدرتـــه وإرادتـــه ذكـــر الدكتور أحمد فخرى فى كتابـــه "*مصـــر الفرعونيـــة*" إن هـــذا الحكيـــم كـــان من كبار الموحدين الذين تحدثوا عن وحدانية الإلـــه وصفاتـــه وعمـــوم قدرتـــه فـــى الخلق والرزق والحساب ، واستدل الدكتـــور فخـــرى علـــى ذلـــك ببعـــض آراء "**بتـــاح حوتب**" وحكمه منها قوله "***بيد الله مصـــير كـــل حـــى وأن تدبـــير الخلـــق بيد الله الذى يحب خلقـــه***"

---

[١] الشرق الأدنى القديم : حـــ ١ د. عبد العزيز صالح ، ص٣٨٧-٣٨٩.

[٢] الأدب المصرى القديم : حـــ ١ د. سليم حسن ، ص١٨٦.

- **إن الله يعز من يشاء ويذل من يشاء** "لأن بيده مقاليد الأمور وأنه من العبث التعرض لإرادة الله.

إن الإله وحده الذى يقدر الفلاح والنجاح وإن ما أراده الله يتحقق[1]

- **وأشار الدكتور نديم السيار فى كتابه** : "قدماء المصريين أول الموحدين إن "**بتاح حوتب**" كان من أوائل حكماء مصر القديمة الذين ظهرت صفات الله واضحة فى آرائهم ، وإن ما ذكره عن هذه الصفات يدل على مدى إيمانه بالإله الواحد وتأثره بالنبوات وأستدل الدكتور نديم السيار على رأيه بأن حكم "**بتاح**" قد جاء فيها اسم الله بصيغة الفرد وليس هناك لفظ للجمع لكلمة أرباب أو آلهة مما يدل على إنه يخاطب موحدين كذلك فإن تشابه حكم "**بتاح حوتب**" مع ما جاء من حكم ومواعظ فى مصر القديمة وأن "**بتاح**" كان من المؤمنين الموحدين بالله وهو الرأى الذى أثبتته وأشار إليه العديد من الباحثين فى الفكر المصرى القديم.[2]

- **وقدم الدكتور مصطفى النشار فى بحثه بعنوان** : "بتاح حوتب رائد الفكر الأخلاقى فى مصر القديمة تقيما شاملا لحكم بتاح وآراءه الأخلاقية وأنتقد موقف بتاح من مفهوم العدالة وتعامل الفرد مع الإدارة والرؤساء": ورأى أن بتاح كان داعيا إلى نوع من الأخلاق العملية المعبرة عن القيم المصرية التى سادت عصر الدولة القديمة ، وأن جوهر الحكمة عنده كان فى الالتزام بالنظام والعدالة .. " ماعت (MAAT) على أساس ضبط النفس.

وأن بتاح قد نجح فى توثيق الروابط الاجتماعية بدعوته لنبز الشراهة وتدعيم قيم الحب المتبادلة داخل كيان الأسرة.

---

[1] مصر الفرعونية – د. أحمد فخرى – ص ١٣٨.

[2] القدماء المصريين أول الموحدين – جـ ١ – دكتور نديم السيار – ص ١٥٨ – ١٦١.

ووافق الدكتور النشار ما ذهب إليه جون ويلسون وتوملين فى كتابه "**فلاسفة الشرق**" من أن أراء **بتاح** قد بلغت حدا من النضج وأنه تميز بالفكر الثاقب والرأى السديد وفهمه العميق للأمور الدنيوية المقررة فى آن واحد.

وذهب الدكتور النشار إلى أن "**بتاح حوتب**" كان صاحب دعوة أصيلة توحد بين المنفعة والفضيلة ، وهى دعوة سابقة على أصحاب المذاهب النفعية فى الأخلاق سواء عند السوفسطائيين أو بعض المحدثين من أصحاب المذاهب الأخلاقية الغربية. سواء أصحاب مذهب المنفعة الفردية لدى توماس هوبز أو أصحاب المنفعة العامة لدى جون ستيوارت وإتباعها فى العصر الحديث.

والتى تغلب عليها طابع الثقة بالنفس والاطمئنان إلى المستقبل وحب التقدم إلى الأمام. .

وأن بتاح كان مفكرا من طراز فريد فى تلك الفترة منذ الآلف الثالثة قبل الميلاد. وأن آراؤه قد تميزت بالنزعة الانفرادية المليئة بالحركة . ورأى الدكتور النشار أن فكر **بتاح** الأخلاقى كان يعكس واقعه السياسى والاجتماعى حيث تسلط الإدارات والرؤساء ، وانتقد موقف **بتاح** حين طالب ابنه بالتساهل مع هذا التسلط حرصا على المنصب والوظيفة والراتب...[1]

كما أنتقد اقتصار بتاح على المقاومة السلبية للظلم رغم موافقته لما ذهب إليه جيمس هنرى برستيد فى كتابه "**فجر الضمير**" الذى قال : وليس من

---

[1] بتاح حوتب رائد الفكر الأخلاقى فى مجلة الجمعية الفلسفية المصرية العدد (١) د. مصطفى النشار ص ٢٨٣ - ٢٨٩. وراجع كذلك آراء كل من الدكتور ... ثروت عكاشة فى كتابه الفن المصرى القديم حـ ١ ص ٢٦٤ ، والدكتورة نعمات أحمد فؤاد ، والدكتور أنطون ذكرى فى كتابه : الأدب والدين عند القدماء المصريين ص٦٤ ، وهنرى توماس فى كتابه : أعلام الفلاسفة ص٧ فرانسوا دوماس فى كتابه ألهه مصر ص١١٩ ، وما جاء فى موسوعة تاريخ الجنس العربى حـ٢ ص٣١٤.

شك أن هذه الشفقة من المسئول وسماعه شكوى الموظف والمظلوم ذات علاقة وطيدة بالمعاملة الحسنة المبنية على الحق والعدالة والتى أخذت مكانة سامية فى فكر بتاح الأخلاقى والسياسى .

- **ويمكن أن نتساءل هنا :** أليس ما يدعو إليه "بتاح" من حسن المعاملة والتسامح فى العمل بين الرئيس والمرؤوس هو ما تنادى به المؤسسات الاجتماعية الآن ، وما تقوم عليه مبادئ علم الإدارة الحديث .

ونتساءل أيضا هل دعوة بتاح للتسامح والتراحم والاعتدال والحب هو من جانب الضعف أم من جانب القدرة والقوة ؟ وهل قيام العلاقات الإنسانية والروابط الاجتماعية على حسن المعاملة والطاعة ضعف أم إنه عمل إيجابى مطلوب ومبدأ يجب أن يسود داخل إطار العمل لتدوم العلاقة وتقوى الروابط ويزيد الإنتاج ويتحقق الرضا والنجاح فى العمل ؟

وبعد هذه التساؤلات يمكن أن نقرر أن بتاح حوتب قد نجح بالعقل والتجربة فى تصوير ما يجب أن تكون عليه علاقة الرئيس بالمرؤوس والموظف العام بالمواطن أو المرؤوس ، كما نجح أيضا فى تصوير العلاقة بين الفرد وزميله والزوج مع زوجته والإنسان مع جيرانه وباقى أفراد مجتمعه.

وهو ما سبق أن أثبتناه عند عرض الفضائل الأخلاقية والاجتماعية عند "بتاح" . ولا شك أن ما ذهب إليه **الدكتور النشار** حول أهمية حكم **"بتاح حوتب"** فى الأدب المصرى القديم وبناء الفكر الأخلاقى على دعائم الخير والعدالة واعتماد المصريين على هذه الآراء لفترات طويلة من عصورهم لدرجة إنها كانت منهجا للحياة وجزءا من الحكمة المقدسة فى مصر القديمة فهذا رأى يوافقه الجميع عليه[1].

---

[1] بتاح حوتب رائد الفكر الأخلاقى فى مصر القديمة – د. مصطفى النشار – بحث فى مجلة الجمعية الفلسفية المصرية العدد (١) يونيو ١٩٩٢م – ص ٢٨٠-٢٩٠.

حكم بتاح حوتب :

وجدت نصوص هذه الحكم في بردية مكونة من عدة لفائف من أوراق البردي عثر عليها في مقبرة بتاح حوتب في منطقة سقارة حيث قبور الأسرة الخامسة واشتهرت هذه النصوص باسم بردية برايس.

وقام بترجمتها من الهيروغليفية إلى الإنجليزية والفرنسية والألمانية العديد من الباحثين في علم المصريات أمثال أدولف أرمان ، هيرمان رانكا ، هيل ، شباس ، لوث ، برورداكشن ، برستيد وآل دريد ، ثم قام بترجمتها إلى العربية باحثون مصريون في التاريخ والآثار منهم د . سليم حسن ،د. أحمد فخري ، د. عبد القادر حمزة ، د. أحمد كمال ، د. عبد المنعم أبو بكر ، د. محمد أنور شكري ، د. عبد العزيز صالح ، د. أنور عكاشة ، د. سيد كريم ، وغيرهم ممن يهتمون بالتراث الفكري لمصر القديمة.

وقد تضمنت بردية "بتاح حوتب" ثلاث وأربعين عبارة أو حكمة تصف السلوك والأخلاق وما يجب أن يكون عليه الفكر والمجتمع من قيم ومبادئ يجب أن يتحلى بها المرء ليحصل على الأمن والسعادة والاستقرار والخلود كذلك.

وأشارت البردية إلى أن هذه الحكم أعيد تسجيلها في عصر الدولة الوسطى وسميت باسم مخطوط الحكم والنصائح واعترف كثير من أدباء وحكماء العصور القديمة بأهمية هذه التعاليم في بناء الإنسان والمجتمع ومدى الاعتماد عليها كأساس في بناء الحضارة وترقية السلوك الخلقي.

وقد وجدت ترجمات عديدة لهذه الحكم في عدة مؤلفات منها :

١. مصر القديمة م٢ د. سليم حسن : ٤١٧-٤٢٣ .
٢. موسوعة تاريخ الحضارة : العصر الفرعوني "نصائح بتاح حوتب" ص٤٣٣-٤٣٥.
٣. أدولف إرمان – "ديانة مصر القديمة" : الترجمة العربية ص١٧٨-١٧٩.
٤. الشرق الأدنى القديم حـ١ : د. عبد العزيز صالح ص: ٣٨٠- ٣٩٠.

5. الكاتب المصرى : د. سيد كريم. ص ٩ – ٢٠ – ٣٥.
6. قدماء المصريين أول الموحدين : د. نديم السيار . ص١٤٦-١٧٠.
7. مصر والحياة المصرية فى العصور القديمة (الترجمة العربية ص١٧٥)..
8. فجر الضمير : الترجمة العربية ص١٤٢.

نص حكم بتاح حوتب :

- **لا تكن متكبراً بمعرفتك ولا تثق بأنك رجـــل عـــالم.**

وفى ترجمة أخرى : لا يداخلك الغرور بسبب علمــــك ولا تتعـــالى لأنـــك رجـــل عالم فشاور الجاهل والعاقل لان نهايـــة العلـــم لا يمكـــن الوصـــول إليـــها وليـــس هناك عالم يسيطر على فنه تمامـــــا.

وأن الكلام الحسن أكثر اختفاء مـــن الحجـــر الأخضـــر الكريـــم "الزمـــرد" ومـــع ذلك فإنك تجده مع الإماء اللائى على أحجــــار الطواحيـــن.

- ما أعظم الحق فإن قيمتـــه خـــالدة ، فـــإن الحـــق مثـــل الطريـــق الســـوى أمـــام الضال.

- إن ثروة المرء العظيمة هى عقله ، فمـــا أفضـــل الابـــن عندمـــا يصغـــى لأبيـــه فالابن إذا وعى لما يلقيـــه عليـــه والـــده فانـــه لـــن يخيـــب فـــى مشـــروع مـــن مشروعاته وعليك أن تعلم من يستمع إليك كأنـــه ابنـــك ، ومـــن ســـيكون ناجحـــاً فى نظر الأمراء هو من يوجـــه فهمـــه حيثمـــا يقـــال لـــه لأن أكـــثر المصـــائب تنزل بمن لا يســـتمع.

- وما أجمل أن يستمع الابن لأبيه ، فيطول عمره مـــن جـــراء ذلـــك.

إن من يسمع يظل محبوبا من الإله ولكن الذى لا يســـمع مكـــروه مـــن الله.

وفى ترجمة أخرى : إن الابـــن المســـتمع المطيـــع يحبـــه الله ، الكـــلام الطيـــب هديه من الله.

- إن الغبى هو الذى ينظر إلى العلم كما لو كان جهلا وإلى الخير كما لو كـــان شـــرا ويجلب على نفسه اللـــوم كـل يــوم لأنـــه يفعـــل كـــل مـــا هـــو مكـــروه مـــن الناس.

- عليك الالتزام بالحذر فـــى حضـــرة العلمـــاء ، والالـــتزام بـــآداب المـــائدة فـــى حضـرة الرئيـــس.

عليك باحترام الرئيس طبقا لمـــا وصـــل إليـــه ودون النظـــر إلـــى أصلـــه قبـــل رئاسته لأن الثمرة لا تأتى عفـــواً.

عليك أن تتحلى بالصمت أمـــام الرئيـــس ولا تتكلـــم إلا بعلـــم ، وحيـــن تســـجل المعضلات لان صناعة الكلام أصعب مـــن أى حرفـــة أخـــرى.

- **إذا كنت ممن يوثق بهم ويرسلهم أحد العظمـــاء إلـــى عظيـــم آخـــر فكـــن أمينـــاً جداً وبلغ الرسالة كما قالها لـــك.**

- إذا أصبحت عظيما بعد أن كنت صغير القـــدر ، وصـــرت صـــاحب ثـــروة بعـــد أن كنت محتاجاً ، فلا تنسين كيف كانت حالتك فـــى الزمـــن المـــاضى.

ولا تفخر بثروتك التى آتت إليك منحة مـــن الإلـــه ، فـــإنك لســـت بـــأفضل مـــن غيرك من أقرانك الذين حل بهم ذلـــك.

وهـــذه الفقـــرة فى ترجمـــة أخـــرى :

إذا عظم شأنك بعد أن كنت قليل القدر ، وأصبحـــت غنيـــاً بعـــد أن كنـــت فقـــيراً فى البلد الذى يعرفك أهله فلا تنس كيف كـــان حـــالك فيمـــا مضـــى ، ولا تغـــتر بثروتك التى جاءتك كهبة من الإلـــه.

- **سوف يرتضى الإله عملك ، إذا كنت متواضعـــاً وعاشـــرت الحكمـــاء.**

- **إذا أردت أن تعيش من مال الظلم أو تعتنى بـــه نـــزع الله نعمتـــه منـــك وجعلـــك فقيراً.**

- بقـــدر الكد تكتسب الثروة فمن جد فى طلبهـــا نجـــح الله مســـعاه.

- **لا توقع الفزع** فى قلوب البشر لئلا يضربك الإلـــه بعصـــا انتقامـــه.
- **إن التعرف** بأعاظم الناس نفحة مـــن نفحـــات الله.
- **إذا كنت عاقلاً** قرب ابنك حسبما يرضـــى الإلـــه.
- **إذا نلت الرفعة** بعد الضعة وحزت الثروة بعد الفاقـــة فـــلا تدخـــر الأمـــوال بمنـــع الحقوق عن أهلـــها .

وفى ترجمة أخـــرى :

وليكن للناس نصيب مما تملك فهذا واجب على مـــن يكـــون صفيـــاً لله.

- **فإنك أمين** على نعم الله والأمين يـــؤ.ى أمانتـــه .

وفى ترجمة أخرى : لا تخن من ائتمنك ، والأمين مـــن يـــؤدى أمانتـــه.

- وإن جميع ما وصل إليك سينقل إلـــى غـــيرك ولا يبقـــى فيـــه لـــك إلا الذكـــر إن حسناً أو سـيئاً.

وفى ترجمة أخرى : وليكن للناس نصيب مما تملك فهذا واجب علـــى مـــن يكـــون صفياً لله.

- **ولا تكن متكبراً** ولا تكونن منتفخ الأوداج ، وإذا فـــاه أخـــوك بالشـــر فأنصحـــه.
- **أعلم أن** بيت الزانى مآله الخراب ، وكل زان لابد أن يكون ممقوتا من الإله لأنـــه مخـــالف للشـــرائع ، ومـــن خـــالف الشـــرائع والقوانيـــن الإلهيـــة نـــال شـــر الجزاء..
- **ما أراده الله يتحقق** ، وأن الجهول هو مـــن يعـــترض علـــى إرادة الله.

وفى ترجمة أخرى : "بيـــد الله مصـــير كـــل حـــى" ، ولا يجـــادل فـــى هـــذا إلا جاهل..

وفى ترجمة أخرى : إن تدبير الخلق بيد الإله الـــذى يحـــب خلقـــه.

- **إن الله** يعز من يشاء ويذل من يشاء لان بيـــده مقـــاليد الأمـــور .

والرزق وفقا لمشيئة الله فمن العبث التعرض لإرادة الله.

وفى ترجمة أخرى :

الرزق هو أكل العيش طبقا لتدبير وتقدير الإله ، والجهول من يعترض على إرادته.

- **لا تكثر** من اللغو ولا تسمعه.
- **ما على** الرسول إلا البلاغ ولكن بغير خلط.
- **وإذا حكمت** بين الناس فأسلك طريق الحق وطريق العدل ..
- **ساير نفسك** ما حييت ولكن لا تتجاوز العرف ، وإياك أن تبتر ساعة المتعة ، فالنفس تأبى أن يفسد وقت متعتها ، ولا تستنفذ من شئون اليوم أكثر مما يعول دارك وعندما يواتيك الثراء ينبغ أن يستمع القلب فلن يجدى الثراء إذا أهمل القلب.
- **لا تتشاجر** مع أى شخص عظيما كان أو بسيطا فإن ذلك أمر كريه فلم يحدث أبدا إن عمل السوء يوصل صاحبه سالما إلى مأمنه.
- **إذا كنت** ممن يقصدهم الناس ليقدموا شكواهم فكن رحيما عندما تستمع إلى الشاكى ولا تعامله إلا بالحسنى.
- **إذا كنت شخصا** عاقلا فأحبب زوجتك التى تعيش فى منزلك بصدق وأمانة وقدم لها أطيب الطعام وأكسها بأفضل الكساء وقدم لها أذكى العطر وأدخل السرور إلى قلبها طيلة حياتها.
- إذا وجدت خطيبا فى زمانك سليم العقل أمهر منك فأثن له ذراعك وأحنى له ظهرك . أما إذا تكلم جهرا فلا تقتصرن حينئذ فى مقاومته حتى ينادى به الناس : أنت إنسان جاهل ، ولكن إذا كان مماثلا لك فأظهر بصمتك أنك أفضل منه إذا أخطأ فى الكلام وعندئذ سيمدحه السامعون ولكن اسمك سيعتبر حسنا بين العظماء . أما إذا كان شخصا حقيرا ليس ندا لك فلا

تغضبن عليه لأنك تعلم أنه تعس ، أحتقره وبذلك يؤنب نفسه وأنه لتبيح أن يضر الإنسان شخصا محتقرا.

- **وكن سمح الوجه** مادمت حيا ، فأن ما يخرج من الشونة لن يعود فيدخلها.
- **مهموم النفس** طوال يومه لن يصيب لنفسه فترة هنيئة ومكشوف النفس طوال يومه لن يشيد لنفسه دارا سعيدة . ومن أطاع هواه أنتهى إلى التمنى دون سواه ومن أطاع بدنه كان عدو نفسه .
- إذا طعم بدنك والتفت وجهك إلى جيرانك **(أكرمتهم)** أطراك الناس من حيث لا تدرى.

أما إذا ضل الفؤاد وأطاع جسده فأنه يكون قد أحل صغاره محل حبه وتعس عقل صاحبه وساير وجهه بما جرته عليه نفسه . ولقد عزت نفوس اتباع الإله وحده.

- **ترفق** حين تسمع إلى حديث الشاكى ، ولا تنهره حتى يفضى بما فى جوفه ويحكى ما جاء من أجله ، فالمتظلم يجب أن يؤمن السامع على قوله حتى ينهى ظلامته .

والمهموم قد يفضل أن يواسيه السامع عن أن يقضى له حاجته ومن شأن حسن الاستماع أن يريح الفؤاد.

وفى ترجمة أخرى : إذا كنت ممن يقدم لهم الشكاوى فكن شفيقا حينما تسمع كلام المتظلم ، ولا تسئ معاملته إلى أن يغسل بطنه وإلى أن يقول ما قد جاء من أجله ، وأن المتظلم يحب كثيرا أن يهز الإنسان رأسه إلى كلامه إلى أن ينتهى مما جاء من أجله ، وأن مجلسا حسنا يسر القلب.

- **الرجل من يقول** اكتسبت بعملى ، وليس الرجل من قال أتمنى لنفسى. وقد يقول إنسان لسوف أشبع هنا فإذا هو فى غده محروم من خيرات الكبار ويقول لسوف أتمنى هناك ثم ينتهى إلى ترك ثروته لمن لا يعلمه.

ذلك أنه ما تحقق تدبير للخلق . وأن ما أراده الإله يتحقق . فإذا عزمت أن تحيا بالقناعة أتاك ما قدره لك الإله بأكمله والرزق وفق إرادة الرب والجهول هو من يعترض على إرادته .

- **إذا كنت قائدا** وتصدر الأوامر للجمع الغفير فأسع وراء كل كمال حتى لا يكون نقص فى طبيعتك .
- **إن الصدق** جميل وقيمته خالدة وإنه لم يتزحزح منذ يوم خلقه والذى يتخطى نواميسه يعاقب ، وهو أمام الضال كالطريق المستقيم.
- **إن الخطأ** لم يقد مقترفه إلى الشاطىء.

حقيقة أن الشر يكسب الثروة ولكن قوة الصدق فى أنه يمكث والرجل المستقيم يقول أنه متاع والدى.

- **إذا كنت** تبحث عن أخلاق من تريد مصاحبته فلا تسأله ولكن أقترب منه وكن معه منفردا ، وأمتحن قلبه بالمحادثة ، فإذا أفشى شيئا رآه وآتى أمرا يجعلك تخجل منه وتتذ أحذر حتى فى أن تجاوبه .
- **أشبع لأصدقائك** بما جد لك كإنسان نال الحظوة عند الإله ومن الحزم أن تفعل ذلك إذ ليس هناك إنسان يعرف مصيره إذا فكر فى الغد فإذا أصابت المقربين مصيبة فإن الأصدقاء هم الذين لا يفتأون يقولون مرحبا له ، فعليك أن تستبقى وذهم لوقت السخط الذى يهدد الإنسان .
- **إذا أردت** أن تحافظ على الصداقة فى بيت تدخله سيدا أو أخا أو صاحبا فأحذر القرب من النساء ، فأن المكان الذى هن فيه ليس بالحسن ومن أجل هذا يذهب الرجل إلى الهلاك .. إذ أن ألف رجل قد يذهب بسبب متعة برهة قصيرة تضيع كالحلم ولا يجنى الإنسان من معرفتهم غير الموت.
- **إذا تزوجت امرأة** فلا تعنفها بل دعها منشرحة الصدر أكثر من نساء بلدها.

وفى ترجمة أخرى : إذا أصبحت كفئا كون أسرتك وأحبب زوجتك فى حدود العرف أو عاملها بما تستحق ، وأشبع جوفها وأستر ظهرها وعطر

بشرتها بالدهن العطر فالدهن باق فــى بدنــها. وأســعدها مــا حييــت ، فــالمرأة حقل نافع إلى آمرها "ولى أمرهــــا".

- **ولا تتهمها عن سؤ ظن** وامتدحها تخبت شرها . فـــإذا نفــرت راقبــها وأســتمل قلبها بعطاياك تستقر فى دارك وسوف يكيدها أن تعاشرها ضــــرة فــى دارهـــا
- **أحذر مخالطة النساء فما طاب مكان حللـــن فيــه.**

ومن سوء الرأى أن يتلصص عليـــهن إنســان .

وكم من امرئ ضل عن رشاده حين استهواه جسد بــراق ثــم تحــول عنــه إلــى هباء ، وأصبحت فترات متعتــه القصــار أضغــاث أحــلام وأفضــت بــه إلــى الهلاك

- **ينساق الفتى إلى الإثم والنهى** ينـــهاه ألا تفعــل الإثــم ، فــالإثم عــار ، وأربــأ بنفسك عن وخز الضمير كل نـــهار .
- **عزة النفس هى** أن تزكو سمعتك بغير أن تتكلـــم ويطريــك النــاس مــن حيــث لا تعلم. لقد عزت نفوس اتباع الإلـــه وحــده .
- **لينطق قلمك** بالحق ولا يخط إلا الصدق بما يفيد النــــاس ويرضـــى الإلـــه .
- **إن صوت القلم** هو أعلى الأصوات لأنـــه صــوت الحــق .
- **إن الكتابة** حاسة مقدسة يهبها الإلــه للكاتب لترفعـــه فــوق النـــاس فــيرى مـــالا يرون ويسمع مالا يســـمعون .
- **إن صوت الناس** يفنى ولكن صوت الكاتب يعيـــش أبــد الدهــر .
- **إذا كنت** رجلا ذا مكانة فأسس لنفسك بيتـــا وأحبــب زوجتــك فـــى البيــت كمــا يجب وعليك أن تملأ بطنها وتستر ظـــهرها ، وتوفــر العطــور التــى هــى دواء أعضائها وأشرح قلبها طالما عاشت فأنها حقــل مثمــر لربــها (الزوجــها) وفــى ترجمة أخرى لســيدها.

- **أحسن العمل** مع أهلك كما يناسب ، لأن هذا فعـــل يفضلـــه الإلـــه. ومـــن قصـــر فى حسن العمل مع أهله يقال عنه إنه رجـــل ملعـــون .

- **لا تكن سيئ الخلق** مع جيرانك ، والصفح عن السفيه خـــير مـــن القســـوة ، فـــأن أخطأ الزعلان فى حق جيرانه لا يدرك كيـــف يوجـــه كلامـــه وبـــدل أن تكـــون الإساءة قليلة سينشأ عنها الكدر مكـــان الصفـــو .

- **إذا غضبت** ولا دواء لذلك ، أو كنت معنفا من قبـــل أحـــد فصـــد عنـــه بوجـــهك ولا تفكر فيه متى كف الكلام عنك ، وكن باش الوجـــه مـــادمت حيـــا .

- **اتبع لبك** ... عقلك وقلبك "مادمت حيا" ، ولا تفعلـــن أكـــثر ممـــا قيـــل لـــك ، ولا تنقص من الوقت الذى تتبع فيـــه قلبـــك ، ولا تشـــغلن نفســـك يوميـــا بغـــير مـــا يتطلبه بيتك ، وعندما يواتيك الثراء متـــع نفســـك لأن الـــثراء لا تتـــم فائدتـــه إذا كان صاحبه معذبـــا.

وفى ترجمة أخرى : ساير نفسك ما حييت ولكـــن لا تتجـــاوز العـــرف .

- **إذا أردت أن تكون خلقك محمـــودا** وأن تحـــرر نفســـك ممـــا هـــو قبيـــح فـــأحذر الشراهة فأنها مرض مملـــوء بـــالداء ولا يشـــفى ، والصداقـــة معـــها مســـتحيلة فأنها تجعل الصديق العذب مرا وتقصى ذا الثقة عـــن ســـيده وتجعـــل كـــلا مـــن الأب والأم قبيحاً وكذلك الأخوال وتفصل الـــزوج عـــن زوجتـــه ، وهـــى حزمـــة من كل أنواع الشر ، وحقيبة من كـــل شـــىء مـــرذول وأن الرجـــل الـــذى يتبـــع طريقة حقه فى سلوكه ويسير على الصـــراط الســـوى يعيـــش طويـــلا ويكســـب الغنى بذلك ولكن الشره لا قبر لـــــه.

- **ولا تكونن شرهاً فى القسمة** ، ولا تكونن ملحاً إلا فى حقك ولا تطمعن فـــى مـــال أقاربك ، فأن القليل الـــذى أختلـــس منـــه يولـــد العـــداوة حتـــى عنـــد صـــاحب **الطبع اللين** .

وفى ختام الحكم والنصائح يقول بتـــاح حوتــب :

- **إذا سمعت** هذه النصائح التــــى ذكرتـــها لـــك فـــأن حكمتـــك تصـــير فـــى تقـــدم حقيقى ، ومهما تكن فأنها الواسطة للوصــــول إلـــى الخـــير ، وهـــذا هـــو الـــدى جعلها ذات قيمة وجعل إدراكها يبعد عـــن لغـــط النـــاس ، ومـــا أحســـن ترتيبـــها فى كل مجال ذكرت فيه من غير تغيير يدخلها فـــــى هـــذه الدنيـــا أبـــد الأبديـــن ، فهى النسيج الذى يصنع للتحسين وبه يتكلـــم الإنســـان فيتعلـــم أســـلوب الكـــلام إذ بعد فهمها يصير (أســـتاذا). والـــذى يكـــون لـــه اســـتعداد لســـماع هـــذا الكـــلام ويصغى إليه ينال النجاح الذى يبلغ بـــه الدرجـــة الرفيعـــة ويضمـــن لـــه الكمـــال السرمدى فلا شيء يهوله أبدا إذ بالعلوم تكون إدارتـــــه ثابتـــة ويكـــون بـــها فـــى الدنيا ســـعيدا

  فالعالم شبعان بمعرفته ، كبير بفضله ، لسانه طـــــوع عقلـــه ، وشـــفتاه صادقتـــان متى تكلم ، وعيناه متى نظرتا وأذناه متـــى ســـمعتا ويكـــون فـــائدة لابنـــه فيفعـــل الصواب بدون خطـــأ .

- **والفضل فى** هذه النصائح التى ألقيتهـــا عليـــك يرجـــع للأجـــداد ، لأن نصائحـــهم جديرة بـــالتقدير

إبيوور EBI YOOR
2420 - 2300 ق.م

الحكيم "إبيوور" من أشهر كتاب الحكمة فى الأسرة السادسة التى تمثل فى بعض مراحلها عصر الانهيار والثورة الشعبية ونهاية الدولة المصرية القديمة والتى وجد بها بعض الملوك الضعاف مثل الملك تيتى وبيبى **الأول وبيبى الثانى**

وقد واكب مظاهر عدم الاستقرار والانحلال والفقر ثورة فكرية ودعوات إصلاحية ، فظهرت أصوات وأفكار ترفض الجمود والضعف والتخلف وتدعو الملوك والرعية على سواء إلى التمسك بالفضائل والتطلع للمثل والقيام بدور فعال فى إصلاح شئون البلاد. وكان من أشهر هؤلاء الدعاة للثورة الفكرية فى هذه الفترة الحكيم "ونى" ثم "إبيوور" وانتهت بالحكيم "آنى" .

كان مثال العدل محور فلسفة "إبيوور" السياسية والاجتماعية وكان حسن النظام وصحوة الضمير غاية الحكمة عنده ، وقد عبرت كلماته عن ذلك حين قال: **"حقا لا تزال العدالة باقية فى الأرض باسمها ، ولكن المؤسف حقا هو الخطأ فى تطبيقهم لها".**

ويمكن تصنيف "إبيوور" كفيلسوف سياسى لأنه اهتم بما يجب أن يكون عليه الحكم وحدد صفات الملك الناجح ومدى مسئولياته ورعايته واعتبر الحكمة السياسية موقف وفكر ورؤية إصلاحية شاملة ، وأنه استطاع أن يقدم تعليلات مقنعة لأسباب الثورة والفقر وانهيار الدولة ، ووضع منهجا إصلاحياً متكاملاً يبدأ بالشعب وينتهى بالحاكم ، وينبه إلى أهمية تطبيق العدالة وخطورة التخلى عن الضمير والأخلاق والعدل.

ومن هنا كان "إبيوور" هو الفيلسوف الشجاع الذى استطاع مواجهة الملك وطالبه بتحمل مسئولياته وإصلاح المفاسد وإنقاذ الأمة من حالة الضعف والانحلال ، وإن ذلك لا يكون إلا بالعمل والإيمان بأهمية العدل والخير والنظام وخطورة الظلم والشر والعدوان.

عرف الحكيم "إيبوور" بشجاعة الرأى فى مجال السياسة والرواية والأدب والحكمة حتى لقب بفيلسوف الثورة الشعبية والمصلح العجوز وقائد ثورة الشعب التى اندلعت فى عهد الملك "بيبى الثانى" فى أواخر القرن الثالث والعشرين قبل الميلاد ، وهذه الألقاب تعكس الدور الإيجابى الذى مارسه "إيبوور" فى حياة مجتمعة ، فرغم إنه كان ينتمى إلى الطبقة الأرستقراطية فقد شارك الفقراء مشاعرهم ومطالبهم ولم يقف موقف المتفرج أو المحايد من أحداث الظلم والفوضى وما ارتكبه بعض الحكام والأمراء من أخطاء أدت إلى انهيار الدولة وضعفها.

وتوجه "إيبوور" إلى الملك "بيبى الثانى" بعدة نصائح يحثه فيها على العمل بالعدل والتزام جانب الحزم فى تطبيقه ووصف حقيقة الأوضاع الاجتماعية وما آلت إليه من تدهور وضعف ، وسجل فى نصائحه ما يجب أن يكون عليه الحاكم المثالى الملتزم بالقانون والعدل ، كما سجل موقفه الرافض للفوضى والجمود والظلم وما يجب على الحاكم والرعية تجاه الأوضاع السياسية والاجتماعية الفاسدة .

وحرص "إيبوور" على وصف سلبيات الثورة الشعبية وإيجابياتها فكان من سلبياتها الاندفاع الغير محسوب والاعتداء على الأثرياء وانتهاك حرمات المقابر ونهبها وتفشى الجهل والفقر والمرض.

أما إيجابيتها فتمثلت فى الموقف الرافض المتدهور والبحث عن ما يجب أن يكون وأنها استثارت نوعا من الوعى القومى لدى المفكرين والمصلحين ليقوموا بدورهم فى توعية الشعب إلى مخاطر الظلم والعدوان وجزاء من يفعل الشر فى الدنيا والآخرة كما نبهت الحكام والوزراء إلى أخطائهم وعيوبهم وما يمكن أن تؤول إليه الحياة الاجتماعية من ضعف وانهيار [١].

---

[١] راجع : بردية ليدن "متحف ليدن رقم ٣٤٤" والتى سجلت فى عصر الدولة الوسطى وأعيد تسجيلها فى عصر الدولة المصرية الحديثة.

أقام "إيبوور" منهجه الإصلاحى على مبدأ العدالة والقانون ، وحدد خطوات الإصلاح والطريق العملى للتطبيق والبناء ، وكشف عن الأسباب والعوامل التى أدت إلى الثورة والفوضى والانهيار.

- كانت الخطوة الأولى للإصلاح عند "إيبوور" أن يقوم أصحاب الفكر والرأى من المصلحين والكتاب والكهان بدورهم تجاه الحكام والشعب فيبصرونهم بالعلل والأخطاء ، وقيمة العمل من أجل الحياة والمستقبل وأن يبينوا لهم الطريق لما ينبغى أن يكون . وكيف يكون الحكم مثالياً ، وكيف يكون الحاكم صالحاً ، وأن يواجهوا الحكام بعيوبهم . وأن يدعوهم إلى إعادة النظر فى العقائد والأفكار والعادات فالتجديد والتغير ضرورة لازمة ، والمواجهة بالحقيقة صعبة ، ولكن الإصرار على الإصلاح والتغيير مسئولية جماعية ، ولا يتحقق الوعى ولا تستيقظ الضمائر إلا بعمل رجال الفكر وأصحاب الرأى.

وهذا ما عبر عنه "إيبوور" حين قال : وما أشق ذلك على نفسى وعلى الكثيرين فلا بد أن أرفع صوتى ليلبى الإله النداء وينقذنى من ذلك العذاب الذى أعانيه.

وذلك فى إشارة إلى المهمة الصعبة التى تقع على كاهل أصحاب الرأى والفكر.

- وكانت الخطوة الثانية فى سبيل الإصلاح والتغيير ، خطوة لازمة للتطبيق الفعلى ، وذلك بالحفاظ على الإمكانيات والموارد وتنميتها ، وأن ذلك لا يتم إلا فى إطار القوانين العادلة التى يحترمها الجميع ويلتزم بها كلا من الحاكم والمحكوم لأن ذلك فى رأيه السبيل لإصلاح كل فاسد.

وفى هذه الخطوة يقوم الإصلاح الاجتماعى على تصحيح الوضع الاقتصادى وترشيد الموارد وحسن استخدامها والمحافظة عليها ، وهذا ما عبرت عنه كلمات "إيبوور" فى وضوح فقال : اصبحت الدولة فى طريقها إلى أن

تصب الماء لغيرها ومن أضاع الماء – أى الإمكانـــات والمــوارد يكــون شــل الــذراع الفتية واحتجزها فى الأغـــلال.

وذلك فى إشارة إلى مسئولية الدولـــة فـــى الحفـــاظ علـــى المـــوارد الاقتصاديـــة وترشيدها وحسن استغلالها وفقا لمبدأ العـــدل والنظـــام.

- وكانت الخطوة الثالثـــة فـــى منـــهج "إيبـــوور" الإصلاحـــى ، هـــى تحقيـــق المثل والقيم التى تؤكد هيبة الدولة وتقضـــى علـــى إهمـــال الحكـــام والـــولاة وأن ذلك لا يتحقق إلا بـــالعلم والتعليـــم وســـيادة القوانيـــن وانتشـــار العدالـــة وحســـن تطبيقها والالتزام بها ، وهذا ما عبرت عنه حكمـــة "إيبـــوور" حيـــن قـــال : "حقا لا تزال العدالة باقية فى الأرض باسمها ولكـــن المؤســـف حقـــاً هـــو الخطـــأ فى تطبيقهم لـــها".

- وكانت الخطوة الرابعة هى بيان العلة فـــى خطـــأ تطبيـــق العـــدل ، وهـــى عنـــد "إيبـــوور" علة اجتماعية لأن الـــهوة القائمـــة بيـــن الحـــاكم والمحكـــوم تحـــول بين معرفة الحاكم بما يجرى من أمـــور ومـــا يقـــع مـــن أعمـــال ســـلب ونـــهب وتخريب ، وتؤدى أيضـــاً إلـــى زيـــادة الفـــوارق الطبقيـــة وانتشـــار الفوضـــى والصراع بين طبقات المجتمـــع.

والحقيقة التى يشـــير إليـــها "إيبـــوور" هـــى أن الحـــاكم والمحكـــوم كلاهمـــا مسئول عن الدولة والنظام ومسئول عن الضعـــف والانـــهيار ومـــن ثـــم فاليقظـــة والعلم والتواصل بيـــن الحـــاكم والرعيـــة كلـــها أمـــور لازمـــة لنجـــاح الحكـــم وإصلاح المجتمـــع.

وهذا ما عبرت عنه حكمة "إيبـــوور" حين قـــال : "عظمـــاء البـــلاد لا تبلغـــهم أمور البلاد والكل آل إلى الدمـــار".

- وكـــانت الخطـــوة الخامســـة هـــى ضـــرورة توافـــر صفـــات الحكمـــة والعـــدل والشجاعة والحلم فى الحاكم ليكون حكمه مثاليـــاً ورعيتـــه صالحـــة.

وهذا ما عبرت عنـــه حكمـــة "إيبـــوور" ونصائحـــه التـــى وجهـــها للملـــك "بيبى الثانى" ورسم فيها صـــورة للحـــاكم المثـــالى وصفاتـــه المطلوبـــة وليؤكـــد علـــى

أهمية يقظة الحاكم ووزرائه وحاشيته وانتباههم إلى مواطن الضعف والقوة وإدراك العلل الحقيقية وراء الظواهر الاجتماعية السلبية وإدراكهم لواقع الأمة.

ومن أجل ذلك توجه "إيبوور" بالنصيحة والبيان للملك "بيبى الثانى" فقال له : "لديك الوحى والبصيرة وأسباب العدالة ولكنك بعثت الفوضى فى البلاد مع أهل الفتنة ولكى تكون حاكما ناجحا وصالحا فإليك صورة الحاكم المثالى المطلوب إنه الحاكم الذى يعمل للبناء ولا يفرق بين جرىء وهياب ، إنه الرجل الذى يستطيع إن يحيل اللهب بردا وسلاما ويمكن أن يعتبره قومه راعيا للناس أجمعين .. إنه الرجل الذى ليس فى قلبه ضغينة وإذا تفرقت رعيته قضى يومه يجمعها."[1].

إن هذه الكلمات تؤكد على معرفة "إيبوور" بالحكمة والفلسفة كما تؤكد إدراكه لأهمية الحاكم ودوره وخاصة الحاكم الفيلسوف بوصفه الحاكم المثالى الذى تتوفر فيه صفات الشجاعة والحكمة والتواضع والعدل والرحمة ، فتلك الصفات تقربه من رعيته وتعينه على تطبيق النظام والعدل وإصلاح المجتمع وبقائه.

كما تؤكد أن حكمة "إيبوور" السياسية والاجتماعية تتميز بالثراء والواقعية ، وهى فى نفس الوقت دليل على تنوع وثراء النشاط الفكرى لحكماء مصر الأوائل وشمول معرفتهم وصدق حكمتهم مع القابلية للتطبيق ... وهذا ما ظهر بوضوح من خلال الخطوات الخمس التى حددها "إيبوور" فى منهجه الإصلاحى.

([1]) راجع : د. عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم حـ ١ - ص١٥٦-١٥٧ ، ص٣٩١-٣٩٤.

AANI آنى

2280 - 2242 ق.م

نشأ الحكيم "آنــى" فى منتصف القرن الثــانى والعشـرين قبـل الميـلاد حيـث بداية الدولة الوسطى فى مصر القديمة الذى بــدأ فــى نهايــة عصــر الأســرة السادســة وكان "آنــى" آخر حكماء هــذه الأســرة.

وانتشرت حكمه عبر الصور لأنــها جمعـت خلاصـة الفكـر المصـرى فـى مجال الدين والعلم والأخلاق ، وكانت مرشداً للمفكرين والعــوام علــى ســواء[1].

وكان الحكيم "آنــى" نموذجــاً للمفكــر المصــرى العاشــق للحكمــة المشــارك بفكره فى عملية الإصلاح الاجتماعى وتهدئة الأوضــاع الثــائرة ووقــف حالــة التدهــور والفوضى التى سادت البلاد فى عصره ، فســاهم عمليــاً فــى يقظــة الوعــى الشــعبى واستخدام حكمتــه فــى بنــاء منــهج إصلاحــى متكــامل وفــق الأعــراف المصريــة المتوارثة القائمة على مبادئ الدين والأخلاق وحكــم الصــالحين ومواعــظ الســابقين.

واستخدم "آنى" أســلوب القصــة والأســطورة ووصــف رحلــة الــروح إلــى السماء وكيف يكون الحساب والجــزاء فــى محكمــة الآخــرة ، وهــو وصــف يجعلنــا نصنف "آنــى" فى مقدمــة فلاســفة الميتافيزيقــا الأوائــل الذيــن اســتخدموا الخيــال

---

[1] ذكرت بعض المراجع التاريخية أن الحكيم "آنــى" كان أحد رجال البلاط لأحد ملوك الأســرة الثامنة ، ورأت الأخرى إنه ظهر فى بداية الدولة الحديثة حوالى القرن الخامس عشــر قبــل الميلاد وإنه كتب نصائحه لولده ليرشده إلى مقومات السعادة فى الأسرة والحياة. وهــذه الآراء جانبها الصواب لأنها اعتمدت على وقت إعادة تسجيل هذه الحكم فى القرن ال١٥ ق.م. حيــن ظهرت نزعة الاهتمام بتسجيل التراث المصرى والصحيح أن هذه الحكم ظهرت فــى زمــن الأسرة السادسة وأشهر ملوكها الأربعــة الملــك "تيتــى" و"بيبــى الأول" و"بيبــى الثــانى" و"تيوتكريس" ، وكان بها العديد من الحكماء مثل "ونــى" و"إيبــوور" و"آنــى".

والأسطورة وقدموا الأدلة العقلية على وجود الروح وخلودها. والأدلة العقلية على وحدانية الإله وصفاته وعلاقة الإله بالكون والإنسان فاتسمت رؤيته بالصيغة الميتافيزيقية لعالم الآخرة بوصفه عالم البعث والحساب والخلود ، وليؤكد على علاقة الاتصال الوثيقة بين عالم المادة وعالم الروح وبين العمل فى الدنيا والخلود فى الآخرة.

أولا - الحكمة والكتابة عند "آنى" :

أكد "آنى" حقيقة السمة الشمولية للحكمة المصرية القديمة التى كانت وليدة الجهد العقلى المتواصل وتضافر الفكر الشعبى بأكمله فلم تكن الحكمة المصرية وليدة جهد فردى أو بعض الأفراد من الحكماء الذين أحبوا هذه الحكمة بل كانت جهدا جماعيا لشعب يعشق الحكمة ويؤمن بالحياة والخلود ، فكان كثيرون يجيدون التعبير بالكتابة والنقش وممارسة الفن والبناء والتصوير وكانوا جميعا يؤمنون بالإله الواحد وأهمية الحياة والتاريخ والعدالة .

وفى عصر الحكيم "آنى" تدرجت الحكمة واكتمل ظهورها وظهرت طبقات معروفة من الحكماء وأصبحت الحكمة عندهم وظيفة وأمل يحرص عليه كل فرد وكل مسئول من اجل ذلك كان حرص الحكيم "آنى" كمفكر وراع أن يعبر عن هذه الأمانى فيتمنى لابنه ولشعبه الحكمة كعمل ومشاركة وليس مجرد فكر نظرى أو تأمل عقلى.

- كانت الحكمة عند "آنى" ممارسة عملية لوظيفة سامية هى الكتابة ، وكانت هى التعبير الصادق بالرأى ، وكانت أيضا هى هبة إلهية ومنحة عظيمة يهبها الإله لمن يسعى إليها ويخلص فى أدائها .
- وكانت الحكمة عنده فى السعى لتحصيل المعارف والعلوم والالتزام بالعرف والعدل وأحكام الدين ولم تكن وحيا أو إلهاما إلهيا فقط بل كانت قيمة سامية وممارسة عملية وسعى لتحقيق المكانة والسمعة الطيبة والخلود فى عالم البقاء. وهذه المعانى قد عبر عنها "آنى" حين قال لابنه : "فلتكن

أمنيتك أن تصبح كاتباً فالكتاب أعظم رزقــاً يســعى إليــها وأعظــم هبــة يهبــها الإله لمن يسعى إليــها".

"إن الكتاب أعظم قيمة مــن مســكن الحيــاة حيــث تشــرق الشــمس ، وأبقــى خلودا من مقبرة حيث تغرب الشــــمس".

" يا بنى هل بيننا من يضارع أوفرا ؟ هل بينكم من يتســاوى مــع أمحوتــب"؟

- "يا بنى هل فى عصرنا من هو مثــل نفــرى آختــى أو بتــاح حوتــى وكــاخبر" وهم أعظم العظماء الذين تتطلــع إليــهم الأنظــار وتنخفــض أمامــهم الــرؤوس. يا بنى هل بينكم من يقول إنه مثــل بتــــاح حوتــب أو كــاتريس. وهكــذا أراد آنى أن يحفز ابنــه وشــباب عصــره علــى تحصيــل الحكمــة بإعطــاء أمثلــة لعظماء الحكمة فى العصور التى سبقته بوصفــهم القــدوة والمثــل.

وأكد "آنــى" أن الحكمة ليست مجرد صفة أو وظيفـــة عاديــة بــل هــى أعلــى الألقاب العلمية ودرجات السلم الوظيفى ، فالحكمـــة درجــة يتــم الحصــول عليــها مــن بيت الحياة أو بيت الحكمة المقدسة الذى كان فــى الغــالب يلحــق بــالمعبد الكبــير فــى عاصمة مصر كما كان معبد "أون" [عين شمس] الــذى كــان بمثابــة أكاديميــة لمختلــف العلوم والفنون. ، وكان "آنــى" يتمنى حصول ابنــه علــى تلــك الدرجــة العلميــة مــن الحكمة لأنها أغلى الأمانى وأعظم الهبات الإلهية وأعلــى درجــات الحكمــة.

فالدرجة الأولى من الحكمة تسمى علم أســــرار الوجــود وهــى أعلــى مراتــب العلوم ويعمل بها كتــــاب الحكمــة المقدســة مــن الفلاســفة الذيــن يمارســون وظيفــة التأليف والتعبير ويتحملون مسئوليات عامة فــــى التوجيــه والنصــح للحكــام والــوزراء وعموم أفراد الشــعب.

أما الدرجة الثانية من الحكمة تتــألف مــن كتــاب الوحــى مــن الكهنــة الذيــن يتولون مهمة تسجيل وتعليم الفنون وتدوين المشــاريع الدينيــة والوثــائق التاريخيــة .

ويأتى فــى الدرجــة الثالثــة مــن الحكمــاء كتــاب الأدب الاجتمــاعى الذيــن يتولون مهمة تســـجيل أهــم الأحــداث والقصــص والأســاطير والأخبــار الاجتماعيــة العامــة.

ويأتى فى الدرجة الرابعة كتاب الشعر والأغانى الذين يجمعون فى وظيفتهم بين التعليم والأداء ، فيكتبون الشعر ويعزفون على الآلات ويقدمون الألحان المناسبة لمختلف المناسبات والأغانى .

ويأتى فى الدرجة الخامسة من الحكماء الكتبة العموميون أو الشعبيون الذين يعملون فى الوظائف الحكومية والخدمات المحلية أو الشعبية وهؤلاء تقتصر ثقافتهم ووظيفتهم على مجرد التسجيل أو تدوين السجلات اليومية وحفظ المستندات والوثائق[1].

ويلتقى مفهوم الحكمة عند آنى مع المفهوم العام لها بمعنى الالتزام بما ينبغى أن يكون والسعى لحصول الكمال بالعلم والتعليم ، وبوصفها غاية سامية وقيمة عليا يسعى لتحصيلها كل صاحب فكر أو رأى وكل مسئول بل كل أب.

وحول هذا المعنى يلتقى كتاب الحكمة .. ومثال ذلك العديد من النصائح التى كان يحرص الأمراء والملوك والحكماء أن يوجهوها إلى أبنائهم أو رعيتهم.

فهذا "ستب حوتب" الحكيم يحث ابنه على تعلم الكتابة لأنها الطريق لتحصيل الحكمة والترقى فى سلم الحياة الاجتماعية فيقول له :

"يا بنى تعلم كيف تحرك أصابعك القلم وكيف يحرك عقلك أصابعك .. فلا يخط قلمك إلا الحكمة والمعرفة وما ينفع الناس".

"يا بنى إن ما يخطه قلمك سيعيش فى قلوب الناس وعقولهم فلا يمتد إليه يد العبث والتخريب".

وهذا حكيم آخر هو "آمون من" يحث ابنه وباقى الشباب إلى التعلم وتحصيل الحكمة فيقول له : "كن كاتبا - أى حكيما متعلما - حتى يريح عقلك إجهاد جسمك ، وكن كاتبا لتصير سيد نفسك".

---

[1] الكاتب المصرى - الدكتور سيد كريم - ص ١٧ - ٢١.

وكن كاتباً لتنعم عليك الآلهـة بحاسـة جديـدة مقدسـة تضـاف إلـى حواسـك الخمس ، حاسة تميزك عن الآخرين فترى مالا يـراه الآخـرون وتسـمع مـالا يسـمعه الآخـوون.

"يا بنى بالحكمة سترى وتسمع بعقلك وقلبك عـالم مـا وراء الطبيعـة....

سـتتمتع بشـهوات عقلـك وتسـعد قلبـك ، ومـن كـان قلبـه سـعيداً أسـعد الآخريـن[1].

ثانيا :- الحكمة والديـن :

هناك إجماع على أن الفكر المصـرى فـى مختلـف صـوره وعصـوره هـو فكر دينى مصدره الوحى وما جاء بـه الأنبيـاء والرسـل ومـا سـجله الحكمـاء مـن آداب وفنون ومعارف وما رسخ فى الوجدان مـن تقـاليد وأعـراف ، ومـن ثـم كـان التشابه الكبير بين ما جاء على لسان "آنـى" فى حكمـه وبيـن مـا جـاء فـى القـرآن الكريم على لسان الأنبياء والرسل وما جاء علـى لسـان الحكيـم لقمـان فـى مواعظـه الأخلاقية وما أورده "آنـى" من تصورات حـول الألوهيـة والبعـث والحسـاب وعـالم الآخرة .

ولذا رأينا العديد من الباحثين يعقدون المقارنـات بيـن حكـم لقمـان ومـا جـاء به الحكيم آنى من قبل لإثبات أن حكمة "آنـى" الدينيـة قائمـة علـى التنزيـه والتوحيـد وأن مواعظه الخلقية مصدرها تعاليم الأديـان السـماوية .

١. ففى وجوب عبادة الإله الواحد المنزه عـن الشـريك والجسـمية فـان مـا أورده "آنـى" يعكـس مـدى فهمـه لحقيقـة الألوهيـة وتصـوره للإلـه القـادر الرحيـم والخالق العظيم ، ويدل على ذلـك قولـه :

---

[1] الكاتب المصرى – د.سيد كريم – ص١١ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٧ .

"لا تسأل عن صورة ربك .. وقولــه : لا تبحــث أســرار ملكــوت ربــك فــهى فوق مدارك العقول .. وقوله : خاف مــن الإلــه وأتقــى غضبــه ولا تفعــل مــا يكرهه ربك وأحفظ وصاياه وإرشاداته فإنه يرفــع مــن يمجــده .

وقوله : "دع عينك تعرف قيمة ربــك واحــترم اســمه لأنــه هــو الــذى يعطــى القوة لملايين المخلوقــات".

وإذا ما قورنت هذه الأقوال مع ما جــاء فــى القــرآن الكريــم مــن آيــات دالــة على وحدانية الله المنزه فترى توافق قــول "آنــى" : "لا تســأل صــورة ربــك مع قول الحق ســبحانه ﴿لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار﴾[الأنعام ١٠٣]

وقول "آنــى" : لا تسأل عن صورة ربك – وأحتفــى بــآلوك وأذكــره فــان الله يغضب على من يستخف به. وقرب قربــانك لله شــكراً

دليل قوى على إيمــان المصــرى القديــم بالإلــه الواحــد الــذى يتعبــدون لــه ويشكروه وأن قول "آنــى" هذا يتوافق مع بما جــاء بــالقرآن الكريــم فــى قولــه تعــالى : ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾[الشورى ١١]

وقوله تعــالى : ﴿فاذكرونى أذكركم واشكروا لى ولا تكفرون﴾[البقرة ١٥٢]

٢. فى وجوب التوجه بالعبادة والصــلاة لله فــى خشــوع وصمــت لأن الله الواحــد سميع وبصير .. فيقول "آنــى" : إذا صليت لله فــلا تجــهر بصلاتــك.

ويقول : "أدع بقلب محب ولا تجهر بصوتــك يســتجيب الإلــه لدعــائك ويســمع ما تقول ويتقبل قربــانك".

وهذا موافــق لمــا جــاء فــى القــرآن الكريــم فــى قولــه تعــالى : ﴿ولا تجهر بصلاتك﴾[الإسراء ٣٧-٣٨]

٣. فى وجوب التوجه بالعبــادة لله القــادر العظيــم والعــادل الرحيــم ، لأن الله هــو الفاعل على الحقيقة وهو الذى يجعل من يشاء عظيمــاً. وهــو الــذى يحقــق العــدل

ويرفع المظالم ويستجيب للدعاء ، وهو وحده الكفيل بإظهار الحق وإزهاق الباطل.

ويؤكد هذه المعانى الحكيم "آنى" حين يقول : كن شهما شجاعا فإن الجبان لا يستفيد من الحياة غير ما وهب الله له. ولا تمش الخيلاء فان الله هو الذى يجعل من شاء عظيما.. ومن أتهم زورا فليرفع مظلمته إلى الله فان الله هو الكفيل بإظهار الحق وإزهاق الباطل" .

ويقول "آنى" أيضا : أخلص إلى الله فى أعمالك لتتقرب إليه وتبرهن على صدق عبوديتك حتى تنالك رحمته وتلحظك كفايته.

وفى القرآن الكريم تتردد تلك المعانى فى قوله تعالى : ﴿ليحق الحق ويبطل الباطل﴾[الأنفال ٨]

وفى قوله تعالى : ﴿ويمح الله الباطل ويحق الحق﴾[الشورى ٢٤]

٤. وفى وجوب حسن الخلق وبر الوالدين يقول "آنى" : لا تغضب أمك لئلا ترفع يديها إلى الله فيستجيب دعائها ، وأجعل نصب عينيك كيف حملتك أمك وأرضعتك وكيف ربتك".

وهذا يتوافق مع ما جاء بالقرآن الكريم على لسان لقمان الحكيم فى قوله :

﴿ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله فى عامين﴾[لقمان ١٣،١٤]

٥. وفى وجوب التواضع وعدم الغرور والتكبر يقول "آنى" : ولا تمش الخيلاء فان الله هو الذى يجعل من يشاء عظيما.

وهذا موافق لما جاء بالقرآن الكريم فى قوله تعالى : ﴿ولا تمش فى الأرض مرحا إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا﴾[الإسراء ٣٧-٣٨]

ومع قوله تعالى : ﴿إن الله لا يحب كل مختال فخور﴾[الحديد ٢٣]

وقوله تعالى : ﴿إن الله لا يحب من كان مختالا فخورا﴾[النساء ٣٦]

٦. وفى وجوب البعد عن الشرور والمفاسد كشرب الخمر والزنا يقول "آنى" فى حكمه : "لا تتردد على محال الخمور احتراسا من عواقبها الوخيمة لأن لشارب الخمر فلتات يستفظع صدورها من نفسه متى أفاق" .

وهو دائما مبتذل محتقر عند الناس وحتى بين إخوانه الذين يشاركونه غروره وشروره . وهذا القول متوافق لما جاء فى القرآن الكريم من تحريم للخمر ووجوب البعد عنها فى قوله تعالى : ﴿إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه . إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر﴾[المائدة ٩٠-٩١].

٧. وفى وجوب البعد عن جميع المفاسد الخلقية وفى مقدمتها الزنا يقول الحكيم "آنى" "إياك أن تميل إلى امرأة فتلعب بدينك وشرفك ، ولا تحدث غيرك بشأنها فأنها كالماء العميق الذى لا يعرف له قرار ، فأن الشهوات طريق الموبقات. وإن الزنا لجرم عظيم.. وهذا متوافق مع ما جاء فى القرآن الكريم فى قوله تعالى: ﴿ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلا﴾[الإسراء ٣٢].

٨. وفى وجوب اتباع آداب الاجتماع الإنسانى من آداب الزيارة والاستئذان وغض البصر والالتزام بالاحترام يؤكد الحكيم "آنى" أن الزيارة لابد أن تبدأ بالاستئذان فيقول : لا تذهب إلى بيت إنسان بحرية بل أدخله فقط عندما يؤذن لك.

وهذا يتوافق مع قوله تعالى : ﴿يا أيها الذين أمنو لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا﴾[النور ٢٧].

وفى وجوب غض البصر عند الزيارة يقول الحكيم "آنى" : لا تدخلن بيت غيرك ولا تمعنن النظر إلى الشيء المنتقد فى بيته الذى يمكن لعينك أن تراه والزم الصمت ولا تحدثن عنه لآخر فى الخارج.

ويقول أيضاً : وأجتنب كل ما ينـــافى الآداب وحســن الخلــق وغــض البصــر عن كل عيب وهذا متوافق مــع مــا جــاء فــى القــرآن الكريــم : ﴿قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم﴾[النور ٣٠]

ولقد استدل بعض الباحثين من هذا التشــابه بيــن أقــوال الحكيــم "آنــــى" ومــا جاء فى القرآن الكريم أن المصريين القدماء كــانت لــهم كتــب ســماوية خرجــت مــن نفس اللوح المحفوظ الذى خرجت منه آيات الكتاب الكريــم وســائر الكتــب الســماوية.

وأن الحكيم "آنــى" نفسه قد أكد ذلـــك حيــن قــال "إذا استشــارك أحــد فأشــر عليه بما تقتضيه الكتب المنزلـــة"(١).

ثالثاً - الحكمــة والميتافيزيقــا :

لم تقتصـــــر الحكمـــة عنـــد "آنـــى" علـــى تحصيـــل المعـــارف والمعلومـــات وتسجيلها ، ولم تقتصر على تقديم تصور للألوهية متوافـــق كثــيراً مــع مــا جــاء فــى القرآن والكتب الســـماوية .

بل تضمنت الحكمة عنده على تصور ميتـــافيزيقى للحيـــاة الآخــرة وعـــالم مــا بعد الموت فقد استطاع الحكيم "آنــى" تصوير رحلــة الــروح إلــى العــالم الآخــر ومــا يصادفها من أحوال بعد انتقالـــها إلــى عــالم الخلــود.. واســتخدم "آنــــى" فــى هــذا التصور الخيال المجرد وقدرته على التــأمل العقلــى واســتعان بمــا وصــل إليــه مــن معارف وأساطير ومعتقدات مصرية راسخة عـــن عــالم الخلــود والبعــث والحســاب ،

---

(١) راجع : القدماء المصريين أول الموحدين : د. نديم السيار جـ١ ص ١٥٣ - ١٥٦ ، وما جــاء فى الأدب والدين عند قدماء المصريين .د. أنطون ذكرى ص١٦ ، والأدب المصرى القديــم .د. سليم حسن جــ ١ ص٢٣٣ - ٢٣٥ ، وعلى هامش التاريخ د. عبد القادر حمزة م٢ ص١٧٢.

وعبر عن إيمانه العميق بهذه المعتقدات فقدم لوحة رائعة عـــن حيـــاة الــروح فـــى عـــالم ما بعد المـــوت[١].

ويمكـــن القـــول أن تصـــور "آنـــــى" (الميتـــافيزيقى) فـــى الألوهيـــة وعـــالم الآخرة قريب الشبه كثيرا بما جاء فى الأديان والقــــرآن ومـــا ورد فـــى قصـــة الإســـراء والمعراج مع الفارق فى كون الإســـراء والمعـــراج معجـــزة إلهيـــة للنبـــى ﷺ وتســـرية له وتعليم أما تصور الحكيم آنـــــى فـــهو رؤيـــة خياليـــة وتجربـــة روحيـــة وعقليـــة وأن رحلة "آنـــى" رحلة روحية فقط وتصور ما بعد المـــوت أمـــا الإســـراء والمعـــراج فـــهو رحلة جسدية وروحية ورحلة حياتيـــــة ورؤيـــة عينيـــة وحدثـــت فـــى الحيـــاة الواقعيـــة بقدرة إلهيـــة.

لقد تصور آنى إنه مات وانتقلت روحـــه ســـابحة إلـــى العـــالم الآخـــر وعـــادت لتروى ما حدث لها بعد مفارقتها للجســـد ومعاناتـــها أثنـــاء عمليـــة التحنيـــط والمراســـم الجنائزية ثم أثناء رحلـــة الموميـــاء إلـــى الشـــاطىء الغربـــى للنيـــل حيـــث يتـــم دفـــن المومياء وبعدها صعدت الروح فى موكب الشمس عـــبر الفضـــاء حتـــى وصلـــت إلـــى المحكمة التحضيرية التى يتصدر منصتها اثنـــا عشـــر قاضيـــا يمثلـــون بـــروج الســـماء الإثنى عشر .. وفى هذه المحكمة تتعرف روح الميت علـــى الـــبرج الـــذى ينتمـــى إليـــه والذى كان مسيطرا على صفاته وسلوكه فـــى الحيـــاة ويـــتزود بنصـــائح ممثـــل الـــبرج وتعاليمه التى تعينه على مصـــــاعب الرحلـــة القادمـــة أو التاليـــة بعـــد الحســـاب وهـــى رحلة الروح إلى عــــالم الخلـــود فـــى الســـماء الســـابعة حيـــث تمـــر بســـبع ســـماوات متعاقبـــات.

---

[١] يمكن الرجوع إلى بردية الحكيم "آنـــى" المشهورة بعنوان رحلة إلى العالم الآخر والتى عرفـــت بالبردية المطولة لأن طولها يبلغ ثلاثون مترا وتوجد بالمتحف البريطانى بلنـــــدن كمـــا يمكـــن الرجوع إلى كتاب الموتى للحكيم "آنـــى" المشهور بالكاتب الجالس القرفصـــــاء وبـــه وصـــف محاكمة الروح فى الاعتقاد المصرى القديم.

ويصف "آنـــى" كل منها بالتفصيل ويصـــور مـــا تحتـــوى عليـــه مـــن كائنـــات ومخلوقات وما يتعلق بها وبكل منها أساطير وحكايات ومـــا يجـــب أن يتلـــى فيـــها مـــن تعاويذ وأدعية ويقول "آنـــى" "توجد فى السماء الســـابعة محكمـــة الآخـــرة وفيـــها يـــتربع الإله "أوزير" على عرشه السماوى يشع النـــور مـــن جســـده ويضـــىء قاعـــة المحكمـــة بأكملها ويصف "آنـــى" إجراءات محاكمة الموتـــى [فـــى عـــالم الأرواح] ومـــا يتـــم فـــى عملية ميزان الحسنات والسيئات ومـــا يقـــوم بـــه الملكـــان اللـــذان يســـجلان الحســـنات والسيئات والأسئلة التى يوجهها القضاة والأجوبـــة التـــى أعدهـــا مقدمـــا والدفـــاع الـــذى استعد به وكيف يصدر الإله "أوزير" فـــى نهايـــة حكمـــه بتســـجيل ولادة "آنـــى" [ولادة روحه من جديد] فى عالم الخلـــود.

وينتقل بعد ذلك "آنـــى" من المحكمة إلى وصـــف جنـــة الخلـــود ويصفـــها بأنـــها مكونة من سبع طبقات أو سبع جنـــات تبـــدأ بجنـــة الأبـــرار ثـــم جنـــة شـــهداء حـــرب العقيدة ثم جنة المرسلين وجنة الملائكة ، ثم تستمر الـــروح صعـــودا حتـــى تبلـــغ أعلـــى درجات الجنة وهى جنة النور التى يقوم فيها عـــرش الإلـــه .

ويصف "آنـــى" أنهار الجنة وهى نهر مـــن الخمـــر وآخـــر مـــن اللبـــن ونـــهر من عسل ويصف حقولا من القمح سنابله من الذهـــب الخـــالص وبـــها ملابـــس لا تتســـخ ولا تبل وفيها شباب دائم وأجسام لا تعرف المـــرض أو التعـــب أو الفنـــاء وليـــس فيـــها أرواح خبيثة أو شريرة أو حيوانات كاســـرة أو حشـــرات[1].

نص نصائح الحكيم آنى :

- أدع بقلب محب ، ولا تجهر بصوتك يستجيب الإله لدعـــائك ويســـمع مـــا تقـــول ويتقبل قربـــانك .
- إياك ألا تقاوم الالتواء فى داخليـــة نفســـك .

---

[1] الكاتب المصرى : د. سيد كريم ص ٣٣ - ٣٥.

- إن جوف الإنسان أوسع من شـــونتي الغـــلال الملكيتيـــن يتســـع لكـــل جـــواب ، فتخير خير الحديث ، وتكلم صوابا واحتفظ بسـيئة فـــى جوفـــك.

- تخير زوجتك حين الصبا ، وأرشدها كيف تصبح إنســـانة وعســـاها تنجـــب لـــك طفلا ، فإنها إذا أنجبت لك وأنت شـــاب اســـتطعت أن تربيـــه وتجعلـــه رجـــلا . وطوبى للرجل إذا أصبح كثير الأهل وأصبح يرتجى مـــن أجـــل أبنائـــه.

- لا تقس على زوجتك فى دارها إن أدركـــت صلاحـــها ولا تســـألها عـــن شـــيء أين موضعه الملائـــم.

افتح عينيك وأنت صامت تـــدرك فضائلـــها وإن شـــئت أن تســـعد فـــأجعل يـــدك معها وعاونها. فكثير من الناس يجهلون كيف يمنع النـــاس أســـباب الشـــقاق فـــى داره .

وقد لا يجد أحدهم مبررا للنزاع فيعمل على خلقـــه بينمـــا يســـتطيع كـــل إنســـان أن يوفر الاستقرار فى داره إذا تحكم سريعا فـــى نزعـــات نفســـه. ولكـــن أحـــذر أن تمشى فى طاعة أنثى أو تسمح لها بأن تســـيطر علـــى رأيـــك .

- لا تغضب أمك لئلا ترفـــع يديـــها إلـــى الله فيســـتجب دعاؤهـــا عليـــك وأجعـــل نصب عينيك كيف حملتك أمك ووضعتك وكيـــف ربتـــك.

- لا تتردد على محـــال الخمـــور احتراســـا مـــن عواقبـــها الوخيمـــة لان لشـــارب الخمر فلتات يستفظع صدورها مـــن نفســـه متـــى أفـــاق ، وهـــو دائمـــا مبتـــذل محتقر عند الناس وحتى بين إخوانه الذين يشـــاركونه غـــروره وشـــروره.

- لا تسأل عن صورة ربـــك.

- احتفى بإلهك وأذكره – فان الله يغضب على مـــن يســـتخف بـــه وقـــرب قربـــانك لله شـــكرا.

- إذا صليت لله فلا تجـــهر بصلاتـــك .

- وإذا استشارك أحد فأشر عليه بما تقضيـــه الكتـــب المنزلـــة.

- ضاعف الخبز لأمك واحملها إن استطعت كما حملتك فطالما تحملت عبئك ولم تتركك .. فإذا استتبت واتخذت زوجة واستقررت في داراك ضع نصب عينيك كيف ولدتك أمك وكيف كانت تربيتك كلها .
- لا تجبر نفسك على أن تشرب زق جعة فإنك إذا شربته عجزت عن البيان وتكلمت لغوا لا تدرك معناه.
- لا تأكل طعاما وغيرك واقف دون أن تحث الخطى إليه وتمد يدك بالطعام إليه ، وسوف يعرف ذلك لك إلى الأبد .
- لا تبحث أسرار ملكوت ربك فهى فوق مدارك العقول .
- خاف من الله واتق غضبه ، لا تفعل ما يكرهه ربك وأحفظ وصاياه وإرشاداته فإنه يرفع من يمجده.
- دع عينيك تعرف قيمة ربك ، واحترم اسمه لأنه الذى يعطى القوة لجميع المخلوقات.
- كن شهما شجاعا فإن الجبان لا يستفيد من الحياة غير ما وهب الله له.
- أخلص إلى الله فى أعمالك لتتقرب إليه وتبرهن على صدق عبوديتك حتى تنالك رحمته وتلحظك عنايته .
- ولا تمش الخيلاء فان الله هو الذى يجعل من يشاء عظيما.
- من أتهم زورا فليرفع مظلمته إلى الله ، فإن الله كفيل بإظهار الحق وإزهاق الباطل.
- إياك أن تميل إلى المرأة فتلعب بدينك وشرفك ولا تحدث ضميرك بشأنها فإنها كالماء العميق الذى لا يعرف له قرار فإن الشهوات طريق الموبقات وإن الزنا لجرم عظيم.
- لا تذهب إلى بيت إنسان بحرية بل أدخله فقط عندما يؤذن لك .

- لا تدخلن بيت غيرك ولا تمعنن النظـــر إلـــى الشـــىء المنتقـــد فـــى بيتـــه الـــذى يمكن لعينيك أن تراه. والزم الصمت ولا تحدثن عنه لآخـــر فـــى الخـــارج.
- وأجتنب ما ينافى الآداب وحسن الخلق ، وغض البصر عـــن كـــل عيـــب .
- فليكن أمنيتك أن تصبح كاتبا ، فالكتاب أعظـــم رزق تســـعى إليـــه وأعظـــم هبـــة يهديها الإله لمن يســـعى إليـــها ، لأن المعرفـــة المقدســـة هـــى أعلـــى مراتـــب المعرفـــة.
- إن الكتاب أعظم قيمة من مسكن الحيـــاة حيـــث تشـــرق الشـــمس وأبقـــى خلـــودا من مقبرة حيث تغرب الشـــمس .
- يا بنى هل بيننا من يضارع أو فرا ؟ هل بينكـــم مـــن يتســـاوى مـــع "أمحوتـــب " يا بنى هل فى عصرنا من هو مثل "نفـــرى آختـــى" أو "بتـــاح حوتـــى "وكـــاخبر" وهم أعظم العظماء الذين تتطلع إليهم الأنظار وتنخفـــض أمامـــهم الـــرؤوس. يـــا بنى هل بينكم من يقول إنه مثل "بتـــــاح حوتـــب" أو "كـــاتريس"؟.[1]

---

[1] راجع الحكم والنصائح فى :
- التربية والتعليم فى مصر القديمة : د. عبد العزيز صالح ص ٩٦١٨١ ط ١٩٦٦.
- الأدب المصرى القديم حـــ ١ : د. سليم حسن ص١٨٦ ، ٢٣١ ، ٢٣٨.
- الفن المصرى القديم حـــ ١ : د. ثروت عكاشة ص ٢٦٤.
- الأدب والدين عند قدماء المصريين : د. أنطون ذكرى ص ٢٦ - ٣٦ .

خـــون إنبـــو KHON ENBO
2052-2130 ق.م

"خـــون إنبــــو" ، (خـــو إن أنـــوب .K H O IN ANOB) هـــو القـــروى الفصيح الذى عرفـــت قصتـــه وتناقلتـــها كتـــب الأدب والروايـــة والتـــاريخ ، وســـجلت مخاطباته (رسائله) إلـــى الملـــك "خيتـــى الثـــالث" ملـــك إهناســـيا فـــى أواخـــر الأســـرة العاشرة فى نهاية القرن الثـــانى والعشـــرين قبـــل الميـــلاد آى بيـــن ٢١٣٠ إلـــى٢٠٥٢ ق.م وهى الرسائل التى سجلت موقف "إنبـــــو" مـــن قضايـــا العـــدل والحريـــة والشـــر والظلم ونظام الحكم وأحوال الرعيـــــة .

أولا - شهرة "إنبـــو" التاريخيـــة :

اشتهر "خو إن أنـــوب" (أنبـــو) بيـــن المؤرخيـــن ورجـــال الفكـــر والأدب بأنـــه أديب العصر الأهناس لأن كلماته التى كتبـــها صـــورت حقيقيـــة الواقـــع المصـــرى فـــى ذلك العصر وما يشعر به الفرد كما صورت بـ.قـــة أحـــوال الحكـــم والإدارة.

وعبرت عن حقيقـــة الظلـــم والإحســـاس بـــه وكيفيـــة تحقيـــق العدالـــة ، كمـــا تعرض لعوامل ضعف الدولة وأســـباب انـــهيارها وفـــي مقدمتـــها المســـاوى الأخلاقيـــة وفساد النظم الاجتماعيـــة والفـــوارق الطبقيـــة وطـــالب بمحـــو الظلـــم والشـــر وتحقيـــق العدالة وإعطاء كل ذى حق حقه وحماية الفقير من الحـــاكم الغنـــى الظـــالم[1].

والقول بـــأن شـــهرة "إنبـــو" التاريخيـــة ترجـــع إلـــى طرافـــة قصتـــه وقـــوة حواراته والعصر الذى وقعت فيه قـــول دقيـــق لأن أحـــداث هـــذه القصـــة وقعـــت فـــى

---

[1] العصر الإهناسى : له عدة مسميات فى التاريخ : فهو عصر الاضمحلال الأول حيث بدأ في نهاية الدولة القديمة وبداية الدولة الوسطى ، واستمر حوالى ٢٥٠ عامًا سادت فيها الفوضى وانهار الحكم المركزى ودارت المعارك بين حكام الأقاليم وانتشر الفساد والظلم واختلت القيم الدينية والخلقية. وهـــو عصـــر التحرير حيث سعى حكام الأقاليم للتحرر من سلطان الحكم المركزى وتحقيق الاستقلال .

أواخر أيام الأسرة العاشرة في أهناسيا أيام الملك "خيتي الثالث" الذى عرف بحكمته وشجاعته ، وعرف بالفيلسوف الأخلاقي حين سجل مواعظه لابنه الملك "مريكارع" في بردية مطولة رسم له طريق النجاح وضرورة أن يتحلى الحاكم بالشجاعة والحكمة ، وأن يلتزم في سياسته بالعقل والقانون وأنه رغم القلاقل وعدم الاستقرار حث ابنه على التعامل مع الجميع بالرحمة والعدل ، وهذه المبادئ نفسها هي جوهر كلمات القروى الحكيم "خون إنبو" ورسائله[1].

ومعروف أن العصر الإهناسي كان بداية الصراع السياسي في مصر القديمة وثورة حكام الأقاليم الذين سعوا للاستئثار بالسلطة والحكم فنشب الصراع وبدأت مرحلة من عدم الاستقرار والضعف وانتشر الفساد والظلم واختلت القيم وتأثر المجتمع بذلك ، ونهض الحكماء ورجال الدين يحذرون من خطر الصراع وتدهور القيم منذ ظهور الملك "خيتي الأول" [مرى أب رع] أوائل الأسرة العاشرة وحتى "خيتى الثالث" آخر ملوك هذه الأسرة في أهناسيا حيث وقعت أحداث هذه المحاورات واستطاع "أنبو" تصوير هذا الواقع بصدق وموضوعية أعجب بها الملك وأعجب بها الشعب فعاشت كلماته مع الأجيال حتى الآن.

وتروى بردية القروى الفصيح أن "خو إن أنوب" [أنبو] كان يعيش في قرية غيط الملح قرب الفيوم ويعمل بالزراعة والتجارة ، وأن قصته الحوارية بدأت عندما جمع هذا الفلاح البسيط محصوله وتجارته من النطرون والأعشاب والجلود والذهب والحبوب وحملها على الدواب وذهب لبيعها في العاصمة أهناسيا. وفى طريقه مر على قرية "برفيفى" وبها ضيعة أحد كبار موظفي القصر الملكى ويسمى تحوتى الذى كان يدير هذه الضيعة لحساب كبير وزراء القصر ويسمى "رنس بن مرو" الذى كان فى نفس الوقت قاضياً وكبير أمناء القصر.

---

[1] سميت حوارات إنبو مع تحوتى نخت والقاضى باسم قصة القروى الفصيح والشكاوى التسعة والخطب كما جمعت بين القصة والحوار والحكمة وشجاعة الرأى في نفس الوقت.

ولما رأى "تحوتى نخت" بضاعـــة "خـــون إنبـــو" تعـــبر ضيعتـــه وبـــها هـــذه النفائس طمع بـــها وقـــرر الاســـتيلاء عليـــها بالحيلـــة ، فـــأدعى أن دواب "أنبـــو" قـــد اعتدت على زراعته وانتهكت حرمـــة ضيعتـــه وبالتـــالى يحـــق لـــه الاســـتيلاء عليـــها وبالفعل تم له ذلـــك.

لكن القروى الحكيـــم أســـرع بمقابلـــة كبـــير وزراء القصـــر وصـــاحب الأرض وهو القاضى "رنس" وأبلغه بالقصة واســـتيلاء "تحوتـــى نخـــت" علـــى بضاعتـــه ظلمـــا وعدوانـــا

وكان لقاء "أنبـــو" مع "رنس" كبير الـــوزراء و"تحوتـــى" نخـــت فـــى العاصمـــة أهناسيا بداية للمحاورات واكتشـــاف بلاغـــة القـــروى وحكمتـــه وقدرتـــه علـــى التعبـــير والاستدلال والحكم فى نفس الوقـــت.

وتبدأ المحاورات بمطالبة "أنبـــو" بحقوقـــه وبضاعتـــه واتـــهام تحوتـــى نخـــت بالســـرقة.

- قال "أنبـــو" بصوت عال : أريد حقـــى وبضـــاعتى.
- فنهره تحوتى نخت بقوله : لا ترفع صوتك يا فـــلاح أنـــت قريـــب مـــن بلـــد رب الســـكون[1].
- رد عليه "أنبـــو" بقولـــه : تضربنـــى وتنـــهب متـــاعى وتوقـــف الشـــكوى علـــى لسانى ثم نادى بصوت عـــال : يـــا رب الســـكون اعطنـــى إذن حـــاجتى حتـــى أبطل الصراخ الذى يغضبـــك.
- ثم عاود "أنبـــو" مطالبة "رنس" بحقه فـــى شـــجاعة لأن ذلـــك هـــو العـــدل ومـــا يجب أن يكون عليه الملـــك ومـــا يجـــب أن يكـــون عليـــه البشـــر مـــن قناعـــة وصـــدق.

---

[1] رب السكون فى ذلك الوقت هو أوزير ، وكان له ضريح قريب من برفيفى يهابه الناس ويحترمونه.

وعندما أدرك "رنس" الحقيقة وأدرك في نفس الوقت بلاغة القروى وقوة حجته أعجب به وأبلغ الملك بما رآه وسمعه منه فسر الملك لهذه الطلاقة والشجاعة والقدرة على الوصف والبيان وطلب من كبير أمنائه "رنس" أن يستثيره ليكتب المزيد من الآراء ووصف أحوال العباد ومدى ظلم الأمراء ، وكيف علل ذلك بسوء أحوال البلاد وفساد الأخلاق وعدم الالتزام بالقيم والمبادئ والقوانين.

والواقع أن شهرة "أنبو" التاريخية ترجع إلى شخصيته من جانب وأراءه التى جاءت فى رسائله من جانب آخر .

حيث كان العامل الشخصى المتمثل فى ذكائه وشجاعته السبب الأول فى إعجاب الوزير "رنس" والملك "خيتى به" ، حيث كان "أنبو" صورة للمواطن الشجاع الذى يواجه الملك ورجال البلاط فى شجاعة وإصرار على المطالبة بالحق ، وكان ذكاؤه وحسن إدارته للحوار وأسلوبه المتميز يعكس مدى حكمته وذكاؤه حين عرض الموضوع بصورة كلية مترابطة ومنطقية معللا الأسباب الحقيقية وراء الظلم والقهر والعدوان ، ولم يقتصر "إنبو" على المطالبة بحقه بل قدم وصفا دقيقا للمساوئ الاجتماعية وعوامل الفساد والطريقة المثلى لتحقيق العدالة والأمن والاستقرار ، واستطاع بالمنطق والحجة مواجهة كل من القاضى وتابعه بأخطائهم ودعاهم إلى التمسك بالقيم والمبادئ ومراعاة الحقوق والواجبات وكيف يتغلب الفرد على شرور نفسه وهواه.

ومنذ اللقاء الأول أو الرسالة الأولى التى حملها القاضى "رنس" للملك والتى تضمنت استعطافا رقيقا ووصفا دقيقا مقنعا للوقائع فى إطار الوضع الاجتماعى والحالة النفسية للموطن حين تسؤ الأحوال ويطمع الكبار فى أملاك الصغار وحقوقهم وماذا يشعر الفرد عندما يفقد الأمان . وكان تسلسل الأفكار وقوة الحجة وحسن البيان ما جعل "رنس" يطلب المزيد من الشرح والتوضيح والمزيد من الوصف والتعليل لإبلاغ كل ذلك إلى الفرعون .

أما شهرة رسائل "أنبو" وحواراته فترجع إلى عدة عوامل منها :

- إنها أصبحت من عيون التراث المصرى الخالص الذى يدرس بالمدارس والمعابد فعرفتها جموع الشعب ومختلف الطبقات وذلك لأنها كانت مجموعة من الآراء والمواقف والحوارات التى تميزت ببلاغة الأسلوب والصدق فى التعبير ، وجمعت بين الفصاحة والسخرية والصدق والتهكم مما أكسبها مكانة خاصة فى وجدان وفكر قدماء المصريين الذين شاع لديهم هذا النوع من القصص والمواقف ذات البعد النقدى والاجتماعى الواضح وعشقهم لهذا الأسلوب البلاغى وشجاعة الفكر[1].

- إنها نجحت فى تصوير جانب هام من الحياة الاجتماعية فى مصر والصراع الطبقى وانتصار الخير على الشر والعدل على الظلم ، واثبات الحقائق الأبدية بأن صاحب الحق لابد أن يناله وأن الظالم لابد أن ينال جزاء ظلمه وأن الحاكم الشجاع هو الذى يراعى العدل دائما ، فكانت الحوارات صورة تجمع بين الواقع والأسطورة التى تجذب الانتباه وتحرك المشاعر ، ولهذا حرص الكتاب والحكماء استخدامها ضمن مواد أو مقررات تدريب الذاكرة حيث تداولونها فى مجالسهم ومناسباتهم القومية والشعبية والاحتفالات فاستمرت فى الذاكرة عبر العصور وحتى الآن .

- إنها صورت مدى تقدم وتطور الفكر المصرى وأثبتت حقيقة اهتمام جموع الشعب بالتعلم والقدرة على التعبير والكتابة وتمسكهم بالحكمة والقيم إلى جانب اهتمامهم بالعمل اليدوى سواء كان زراعة أو صناعة أو تجارة.

- إنها جمعت جوانب الحكمة نظرية أو عملية من دين وأخلاق وسياسة وأدب وهى الموضوعات التى كانت تستخدم فى تمرين الذاكرة لتثبيت المواعظ والقيم واستلهام الحكمة وتعليمها وحرص الأباء على تلقينها للأبناء ، وهذا التذكير بالموعظة والحكمة كان من أهم مميزات الشعب المصرى دون غيره من الشعوب.

---

[1] الشرق الأدنى القديم جـ ١ ، ص ٣٩٥ & الكاتب المصرى ص ١٨٥.

- إنها قدمت مفهوما عمليا للعدل وحقيقته يرتبـــط بـــالضمير الخلقـــى فـــالعدل عنـــد "أنبـــو" مساواة فى جميع الحقوق والواجبات. وهـــو غايـــة كـــل حـــاكم وقـــاضى وصاحب ضمير فالعدل عنده يجب أن يكـــون هدفـــا وقيمـــة ورابطـــة ضروريـــة ومسئولية مشتركة وإطار عام يجب أن يحكـــم العلاقـــة بيـــن أفـــراد المجتمـــع ، كما إنها صورت انتصار فضيلة الشجاعة عندمـــا يتحلـــى بـــها صـــاحب الحـــق ويسعى إليها عند من يستغله أو يســـلبه حاجتـــه إذا كـــان ذا ســـلطة وقـــوة كمـــا نبهت لأسباب انهيار الدول ومقومـــات بنائـــها .

وهكذا نجحت محاورات "خون أنبـــــو" وشـــجاعته وقـــوة حجتـــه فـــى تدعيـــم القيم الاجتماعية وتحقيق اليقظة الفكريـــة ، وكـــانت صـــورة صادقـــة للنقـــد الاجتمـــاعى الهادف وترجمة صادقة للدعوات الإصلاحية التـــى تزعمـــها بعـــض الكـــهان والحكمـــاء أو بعض الملوك الإصلاحيين الذين دعوا إلى اقامة الحكـــم علـــى العـــدل والمســـاواة.

ثانيا - حوارات خون إنبـو ورسالاته التسـع :

(١) الرسالة الأولى جـاء فيـها :

أيها الملك العادل ظل الإلـــه فـــى الأرض .
أنت تجيء كنور الحق وبمجيئك يختفى ظـــلام البـــاطل .
أنت تجيء كالشبع وبمجيئك ينتـــهى الجـــوع .
أنت تجيء كالثياب وبمجيئك ينتـــهى العـــرى .
أنت تجيء كماءنهر الحياة وبمجيئك ينتـــهى الظمـــأ.
أنت كالنسمة الصافية تجيء بالهدوء بعد العاصفـــــة الـــهوجاء.
فأنت الدفـــء لمن أصابه الـــبرد .
أيها الملك العادل ظل الإلـــه فـــى الأرض .
لا تكفر بتلك النعم التى خصك بـــها الإلـــه .
إن العدالة فى حكم الناس مسئوليتك أمـــام الإلـــه .
إنك مسئول عن كل شيء ومسئول عن اختيـــار قضـــاتك
وقضاتك مسئولون أمام الإلـــه .

تعقيـــب :

دارت هذه الرسالة حول العدل وآثر العدالة الإيجابى ومسئوليات الحاكم العامة فى اختيار القضاة وتطبيق القوانين لان الكل مسئول أمام الإله .

وفيها ركز "أنبو" على الآثار الحسية المترتبة على تطبيق مبدأ العدالة فإذا ما تحقق العدل ساد النور واختفى الظلام وساد الشبع واختفى الجوع والفقر وشعر الناس بالأمان والاستقرار وعرفوا معنى السعادة فى الهدوء والدفء والأمان فعندها يجب الشكر للإله الذى أمر بالعدل وأنعم على جميع البشر الذين أطاعوه وتحملوا مسئولية العدالة والحق .

وعندما قرأ القاضى "رنس" هذه الرسالة أعجب ببلاغتها وتناسق كلماتها وحسن اختيار كلماته فى التعبير عن العدل والحق ، أدرك صدقها فأسرع بها إلى الفرعون وأخبره بالقصة وموقف هذا القروى الشجاع الفصيح .

وعندما دخل القاضى "رنس" بالرسالة قال : مولاى لقد وجدت واحدا من أولئك القرويين جيد الكلم يتحدث بالصواب وقد نهب متاعه وأتانى يتظلم إلى وأطلعه على محتوى الرسالة الأولى .

- فرد الفرعون "خيتى الثالث" قائلا : "استحلفك بحق ما تحب أن ترانى معافى أن تؤخره هاهنا ولا تعقب على شىء يقوله عساه يواصل الحديث ثم يؤتى إلينا بحديثه مكتوبا فنسمعه بشرط أن تتكفل برزق زوجته وعياله دون أن تشعره بأنك أنت معطيه .
- وعلى الفور رجع "رنس" إلى القروى "أنبو" ليواصل استفزازه له ليواصل "أنبو" حديثه وشكواه ويكتب ما يريد .
- وبالفعل بدأ "خون أنبو" كتابة رسالته الثانية فى المطالبة بحقه ووصف أحوال البلاد والعباد وأسباب الفساد ، وانتقل من موقف الاستعطاف والمدح إلى موقف النقد والتحليل فأنذر القاضى ورجال الحكم من خطر الفساد والظلم وأنذرهم من انتقام الشعب والإله من كل قاضى خرب الذمة ودعا الحكام والقضاة الالتزام بالعدل والحق والوقوف بجانب المظلوم .

(٢) الرسالة الثانية جاء فيها :

أيها الملك العادل ظل الإله فى الأرض .

إذا كنت حقا أبا لليتيم وزوجا للأرمل وأخا للمطلقة ورداء لمن لا أم له ، فشجعنى على أن أنشر سمعتك فى هذه الأرض بما يتفق مع كل قانون قويم . وعساك أن تكون حاكما بريئا من الجشع ونبيلا منزها عن الدنية.

أيها الملك العادل ظل الإله فى الأرض .

عليك أن تزهق الباطل وتحق الحق وتلبى نداءه .

وها أنا ذا أقول لك وأنت تسمع ، فأقم العدل أمدحك ويمدحك المادحون وأزل معاناتى فقد ثقلت واحمنى فقد ضعفت.

تعقيب :

دارت هذه الرسالة حول أثر العدل الاجتماعى وأن العدل هو القانون القويم عندما ينتشر ويسود أنحاء المجتمع وأن متطلبات العدل لا تقتصر على تطبيق القوانين فمن العدل إعالة اليتيم والمسكين والأرملة ، ومن العدل إعاشة المحتاج والفقير ، ومن العدل حماية الضعيف وأمنه ويجب أن يكون الحاكم عادلا فلا يطمع ولا يظلم ولا يقهر .

وقد عبرت هذه الكلمات وصدقها عن معرفة "إنبو" بواقع الشعب الأليم وأن "إنبو" لم يطالب بحقه فقط ولكن يطالب بالعدل والحق للجميع ، لكل مظلوم ومحتاج ويتيم ، ومن ثم أراد القاضى أن يستحثه على كتابة المزيد من الرسائل ليسمع الملك حقيقة أوضاع شعبه ومشاعرهم وقيل أن القاضى أمر بضرب القروى الفصيح حتى يستمر فى كتابة شكاواه والتعبير عن مشاعره ، وأفكاره.

وهكذا بدأ يكتب رسالته الثالثة الموجهة نحو القاضى نفسه وهى تعكس مدى إصرار "إنبو" على المطالبة بإقامة العدل والمساواة وكشف مساوئ المجتمع .

(٣) الرسالة الثالثة جاء فيها :

أيها الملك العادل ظل الإله فى الأرض .

لقد ضل ابن مرو طريقه (أى القاضى "رنس بن مرو")

وعمى وجهه عما يراه ، وأصيب بالصم عما يسمعه

وضل ضميره عما يذكر به .

أيها القاضى : إنك أشبه بقرية بغير عمدة أو جماعة لا كبير لها أو مركب لا ربان فيها وعصبة لا هادى لها .

أيها القاضى : أنت نبيل نهاب وحاكم مرتشى وكبير لمنطقة كان ينبغى أن يمنع الاختلاس ولكنه أصبح نموذجا لمن يود أن يختلس .

أيها القاضى : أنظر إنك الرئيس وبيدك الميزان .. إذا أختل هذا الميزان أختل مركزك أمام الناس وأمام الإله .

أيها القاضى : لا تول وجهك للظالم ولا تول ظهرك للمظلوم فالإله يراك.

أيها القاضى : إنك صانع العدل ومن يصنع العدل لا يمكنه أن ينحرف عنه ، إنك تمثل القلم والمحبرة ولفة البردى فلا تترك قلمك يسطر إلا ما يميله عليك ضميرك. إنك تحاسب الناس فأحكم بالعدل ولا تنسى أن أحكامك ستحاسب عليها عندما يحاسبك الإله فى ميزان الآخرة.

أيها القاضى : استمع إلى صوت المظلوم قبل استماعك إلى صوت الظالم إنك دفة السماء فلا تنحرف وسارى الأرض فاستقم .

تعقيب :

صورت هذه الرسالة قــدرة "أنبـــو" علـــى النقــد والتحليـــل ، كمـــا صـــورت شجاعته فى التعبـــير عـــن الـــرأى فوصـــف القـــاضى "رنـــس" كبـــير قضــــاة القصـــر الفرعونى ، بالعمى عـــن الحـــق والضـــلال وعـــدم الضمـــير والضعـــف عـــن اتخـــاذ القرارات الصائبة وآثر ذلك فى اختلال الأمور وانتشـــار الفســـاد والظلـــم. كمـــا وصفـــه بالنبيل النهاب والحاكم المرتشـــى.

كم نجح "أنبـــــو" فى هذه الرسالة فـــى إثـــارة عواطـــف القـــاضى وتحذيـــره من عقاب الإلـــه الـــذى يعـــاقب الظـــالم الـــذى يمنـــع العـــدل ولا ينصـــر المظلـــوم ولا يستجيب لضمـــيره.

إنها كلمات شجاعة تدل عن معرفـــة وثقـــة وإيمـــان بضـــرورة تطبيـــق العـــدل وانتشار السلام والأمان بين الجميـــع.

وأكدت هذه الرسالة مدى عمق الإيمـــان بعدالـــة الســـماء وبحقيقـــة الإلـــه الـــذى يسمع ويرى ويحاسب ومدى انتشار معتقد الجزاء والحســـاب علـــى الأعمـــال ..

وهى تقرر أيضا مدى مســـئولية الرئيـــس والقـــاضى وإنـــها مســـئولية عظيمـــة لأن العدل واجب وقيمة تحفظ علـــى الرئيـــس قيمتـــه وإذا انحـــرف عـــن العـــدل اختـــل مركزه أمام الناس وأمام الإلـــه.

وإن من العدل حسن الاستجابة والسمع وإقـــرار الحـــق وقـــول الصـــدق واتبـــاع الضمير لأن العدل من أفضل الأعمال الذى يحاســـب عليـــها الإلـــه.

ولهذا طالب "إنبـــو" القاضى بـــأن يحكـــم بـــالعدل وأن يتذكـــر بأنـــه محاســـب على أحكامه فى الآخرة كما يحاسب النـــاس فـــالعدل دفـــة الســـماء التـــى لا تنحـــرف ، والقاضى العادل هو دفة الأرض التى يجـــب أن تكـــون كذلـــك.

(٤) الرسالة الرابعة جاء فيـــها :

أيها القاضى : لقـــد انفلـــت العـــدل مـــن تحتـــك وأقصـــى عـــن موضعـــه والموظفون يشاغبون والموعظـــة الحســـنة أهملـــت ، وهـــاهم القضاة يتخاطفون ما سلب منـــى.

أيها الدقة لا تنحرف وأيـــها الســند لا تميــل وأيـــها الخيــط لا تتذبـذب.

أيها القاضى : هاأنت رئيس وبيـــدك مـــيزان.

إذا اختل الميزان فـــأنت مختــل ولســانك مـــن لســانه وقلبــك صنجته وشفتاك فيـــه .

فإذا سترت وجهك عمن يطفف فمن يرفـــع العـــار.

أيها القاضى : أقم العدل لرب العدل الذى عـــدل عدالتـــه موجـــود.

ويا قلم تحوتى وقرطاسه ولوحته تـــنزهوا عـــن عمـــل الســـوء فإنما الخير بالخير والحسنى لها ما هو أحســـن منـــها.

والعدل خالد إلى الأبد يهبط مـــع صاحبـــه إلـــى الجبانـــة فـــإذا دفن احتوتـــه الأرض .

أيها القاضى : من يكون سندا لا ينبغى لـــه أن يميــل.

ومن يكون ميزانا لا ينبغى لـــه أن يتذبـــذب.

وسواء جئت أنا أم آتى غـــيرى وجـــب عليـــك أن تتحـــدث ولا تنصت إلى هكذا كما لو كنت أحادث شـــخصا أخـــرس.

أيها القاضى : قل الحق إذن وأفعل الصـــواب فـــالعدل عظيـــم.

تعقيـــب :

حدد "إنبـــو" فـــى هـــذه الرســـالة معيـــار النجـــاح للرئيـــس وأســـباب الخلـــل والضعف كما حدد مسئوليات القاضى حين وصفه بأنـــه رســـول الملـــك والدفـــة والســـند والميزان ودعا المسئول أن يقيم العدل لا من أجل شخص بـــل مـــن أجـــل الإلـــه العـــادل فقال للقاضى أقم العدل لرب العدل الذى عـــدل عدالتـــه موجـــود.

ودعا أهل الحكمة والخـــير وأصحـــاب المعـــارف أن يتـــنزهوا عـــن المســـاوئ وأن يتمسكوا بأفعال الخير فذلك جـــزاء العـــدل.

وأوضح "أنبـــو" أن العـــدل مـــن القيـــم الخـــالدة الدائمـــة وأن العـــدل عظيـــم وباق لأنه أفضل الأعمال ، وأن مـــا ينبغـــى أن يكـــون هـــو أن يكـــون القـــاضى ســـندا وعونا وميزانا لا يميل ولا يظلـــم وإن إقامـــة العـــدل مـــن الواجبـــات التـــى لا تؤجـــل ، فالعدل قول الحق وفعل الصواب ولهذا فـــالعدل عظيـــم .

(٥) الرسـالة الخامسة جـاء فيـها :

أيها الملك العادل ظل الإلـــه فـــى الأرض :

إنك رب العدالة وأعظم العظمـــاء

إنك إذا نزلت بمركبك فى نهر العدالة فستملأ الريح قلاعها فلا يتمزق شراعك ولـن يصيب سفينتك الخلل ولن تقطع حبال مراسيها ولن يجرفها التيار فيختل ميزانها.

أيها الملك العادل ظل الإلـــه فـــى الأرض :

إن رجل العدالة هو الأب لليتيـــم والرجـــل للأرملـــة والأخ لمـــن هجـــره أهلـــه وهو الستر لمن لا أم لـــه.

أيها الملك العادل ظل الإلـــه فـــى الأرض :

إن حياة الفقير فى ماله فمن أخذه منه فقـــد خنقـــه. إن أمـــان الفقـــير فـــى أمـــن بيته فإذا فقد أمانه كمن أحترق بيتـــه.

أيها الملك العادل ظل الإلـــه فـــى الأرض :

إذا جف ماء النهر ونهر الأمـــن فكيـــف تتمكـــن الســـفينة مـــن عبـــوره وكيـــف يسترد الفقير والمظلوم حقه الذى وضعتموه علـــى الشـــاطىء الآخـــر مـــن نـــهر العدالة والحق الذى جف مـــاؤه.

تعقيـب :

هذه رسالة عتاب وتنبيه للملك بأهمية الـــتزام العـــدل وتطبيـــق قوانيـــن العدالـــة وهى نداء صريح لإنقاذ البلاد من الخلل والمســـاوئ والانـــهيار والمنقـــذ مـــن كـــل ذلـــك هو الضمير اليقظ والحاكم العـــادل.

وهى نداء للملك أن يستيقظ وأن يكون نصيراً للعدالة وبأن يكون أبا لليتيم وأخاً وعوناً للمحتاج والضعيف والمقهور.

وهى نداء لتحقيق الأمان والاستقرار ودعوة للإصلاح وما يجب أن يكون عليه الملك العادل من صدق وإخلاص ومروءة وتعاون.

وهى تحذير من الخطر الذى يتهدد الأمة عندما يضيع الحق ويقهر المظلوم ويعدم الفقير .. فلا مال ولا بيت ولا أمان .. إنها تنبيه للملك من أن أحوال العباد فى حاجة إلى العدالة واليقظة والضمير حتى يسترد المظلوم والفقير حقه وتصل السفينة عبر نهر العدالة إلى بر الأمان.

(٦) الرسالة السادسة جاء فيها :

أيها الملك العظيم : أنظر كيف انهارت العدالة تحت قدميك وأنهار سقف العدالة ليتساوى بالأرض.

لقد سقطت كفتا الميزان الذى تحمله فكيف ستصل إلى الحق وميزان العدالة قد اختل وهو بين يديك.

أيها الملك العظيم : أن القضاة يسرقون ولا يصاحبون غير أهل الظلم ويغلقون أبوابهم ويسدون آذانهم أمام المظلومين وإذا سرق القاضى عم الفقر البلاد وإذا هربت العدالة عم البلاد الفساد.

أيها الملك العظيم : أن كبار الموظفين يأتون السيئات ولا يمدون يدهم لمساعدة الفقراء وصغار الموظفين يمدون يدهم بالرشوة يغتصبونها من الفقراء المحتاجين.

أيها الملك العظيم : أنت مسئول عن كبار أشرافك ومسئول عن رعاية الفقراء ونشر العدالة بين الناس فأسأل عن سبباً لفساد قضاتك ، فالكذب مرعاهم الخصيب

وقلوبهم عامرة بالــهوى ولا وقــت عندهــم لســماع صوت الفقير وإنصافـــه.

أيها الملك العظيم : ليس فـــى محكمـــة عدالـــة الأرض مكـــان لســماع شكوى الفقير ، ومحكمــــة الســماء هـــى المحكمـــة الوحيدة التى عليه أن يتقدم بشكواه ليرفعـــها إليـــها.

تعقيـــب :

في هذه الرســـالة عتـــاب شـــديد مـــن "إنبـــو" موجـــه للملـــك الحكيـــم "خيتـــى" والقاضى "رنس" وفيها أيضا وصـــــف دقيـــق لموقـــف القـــاضى ورجـــال القصـــر مـــن الرعية وأصحاب الحاجات وفيها أيضا اتهام واضح لكـــل مـــن يتخلـــى عـــن المســئولية بحكم وظيفته فيخون الأمانة وفيها أيضا إشارة إلى أهـــم أســباب الفســاد وانـــهيار حالـــة الاستقرار والأمن وفـــى مقدمتـــها انتشـــار الرشـــوة والظلـــم واختـــلال مـــيزان العدالـــة والتميز الطبقى – فالقادر والغنى لا يســـاعد الضعيـــف والفقـــير ، فـــالكل يتخلـــى عـــن مسئوليته ابتداء من الحـــاكم حتـــى صغـــار الموظفيـــن المرتشـــين والقضـــاة .. ليؤكـــد "أنبـــو" أن اختلال ميزان العدل وانتشار الســـرقة والرشـــوة والخيانـــة وانتشـــار المفاســـد وسؤ الخلق مقدمات لانهيار الدولة والحكم. وبعدها تـــهرب العدالـــة مـــن الأرض ويعـــم الفقر والفساد ويلجأ الفقراء إلى محكمة الســـماء وحدهـــا.

(٧) الرسالة السابعة جاء فيـها :

أيها القاضى : إن الموت يدرك الغنى والفقـــير علـــى ســـواء.

فلا تظن إنك خالد فالخلود يبـــدأ بعـــد خروجـــك مـــن محكمـــة الآخرة وفيها ميزان عدالة الســـماء.

أيها القاضى : لا دوام للكرسى الذى تجلس عليـــه ، فقـــد جلـــس عليـــه مـــن قبلك وسيجلس من يأتى بعـــدك.

أيها القاضى : إذا غرقت سفينة العدالة فكيـــف تعـــير النـــهر هـــل تـــرى أن نعبره بأقدامنا وهل ذلك ممكـــن.

أيها القاضى : إن البستانى الذى يروى أرضه بالخبث ويزرعها بالشر لا يحصد إلا البهتان ولا ينتج لبستانه سوى الرذائل .

أيها القاضى : لا أمان لمن لا يكترث بالناس ولا صديق لمن يصم أذنيه عن الحق . ولا سعادة لمن عاش على الجشع.

أيها القاضى : لا تغمض عينيك عما تعرف ولا تتجاهل من يقصدك ولا تنهر من استجار بك.

تعقيب:

فى هذه الرسالة تحدث "إنبو" عن عدالة السماء التى لا تفرق بين حاكم ومحكوم أو غني وفقير ومثال تلك العدالة الموت بوصفه القدر المحتوم العادل الذى يؤكد أن كل مخلوق لابد أن يفنى وأن الخلود لا يكون إلا مع البعث فى الحياة الآخرة وبعد الحساب حيث تطبيق عدالة السماء.

وتحدث أيضا عن سنة التغير بين الأحياء والأشياء وأن المناصب الدنيوية لابد أن تزول وتتغير فلا يبقى رئيس فى مكانه ولا حاكم أو مسئول فالكل لابد أن يتبدل والعدل وحده الباقى والمنقذ ، فإذا غرقت سفينة العدالة فلا سلام ولا أمان ولا استقرار ولا بناء ولا نجاة للفرد أو الجميع.

وأكد "إنبو" أن حقيقة الشر والخير فى عمل الإنسان وهى ناتج النية والقصد والعمل وأن فى الخير الأمان والسعادة وفى الشر والجشع الخراب والدمار.

وكل هذا تحذير من "خون إنبو" للقاضى من سؤ العاقبة فى الآخرة والندم فى الدنيا فى إشارة إلى أن العدل هو طريق الخير وأن حسن الاستماع وسرعة الاستجابة له أفضل من العناد والطمع فالسعادة مع الصدق والخلود مع الحق والنجاة مع العدل.

(٨) **الرسالة الثامنة جاء فيها :**

أيها الملك العادل ظل الإله فى الأرض :

كما أن الأب مسئول عن أولاده فالكبير مسئول عن الصغير والحاكم مسئول عن المحكوم ، والرئيس مسئول عن مرءوسيه ولو شاء الإله لجعلهم على درجة واحدة وبذلك حياة المجتمع.

أيها الملك العادل ظل الإله فى الأرض :

إن الظلم ظلام القلب الذى يفتقد به الحاكم النور الذى يرى به المظلوم أو يرى نفسه ولا يرى الإله الذى لا تغفل عينه عن مراقبة أعماله ووضعها فى ميزان الحساب.

أيها الملك العادل ظل الإله فى الأرض :

إن همس المظلوم أعلى صوتا من صراخ الظالم إذا تغلب الشر على النفس أصبح الإنسان أسيرا لهواه وعبدا للغرائز .

تعقيب :

هذه الرسالة دارت حول المسئولية ودرجاتها وأهمية عدالة القضاء ..

وفيها حدد "خون اينو" القواعد الأخلاقية وكيفية تحصيل الخير كقيمة دائمة تشعر الفرد بالسعادة فالسعادة لا تتحقق بالشر والظلم بل تتحقق مع الخير والعدل ويقظة الضمير وحصول الرضا النفسى.

كما حدد "إنبو" أقسام المسئولية حسب الحجم والقدر فمسئولية الحاكم والأب أخطر وأعظم لأنها مسئولية الحساب ورفع الظلم وتحقق العدل ، وهذه المسئولية تتطلب دوام المراقبة والمتابعة والمساواة بين الجميع ومراقبة الإله ويقظة الضمير . فكل ذلك من الخير أما الشر فهو مرض عضال يصيب النفس ويجعل الإنسان عبدا للهوى والشهوة.

كما تثبت مدى عمق الإيمان الشعبى بالبعث والحساب والجزاء وأن الخلود والسعادة الحقيقية ليست فى عالم الدنيا بل فى عالم الآخرة حيث المثل الخالدة للعدل والحق

والحساب الدقيق من الإله العظيم العادل الذى لا تغفل عينيه عن مراقبة أعمال البشر ومجازاتهم عليها فى الدنيا والآخرة.

(٩) الرسالة التاسعة جاء فيها :

أيها القاضى "رنس" : لا تكن بطيئا وعجل بقضاء الحق.

أيها القاضى "رنس" : لا تتحيز ولا تطع قلبك ولا تتجاهل من يقصدك.

أيها القاضى "رنس" : لا تغمض عينك عما تعرف ولا تنهر من إستجارك فلا أمان لمن لم يكترث بالناس ، ولا صديق لمن يصم أذنيه عن الحق ، ولا سعادة لمن عاش على الجشع.

أيها القاضى "رنس" : أنظر إننى قد تقدمت بشكواى فلم ينصت إليها أحد ولم يعد أمامى إلا أن أتقدم بشكواى إلى "أنوبيس" إله الموت ليرفعها إلى "أوزوريس" قاضى محكمة الآخرة إنى الآن متلهف إلى الموت بعيدا عن العيش مع الأحياء.

تعقيب:

هذه الرسالة الأخيرة والتى عبر فيها "إنبو" عن مشاعر اليأس والرجاء فى إنهاء مشكلته وحصوله على جميع حقوقه -- كما عبر عن أمله فى أن يستجيب القاضى لمطالبه والحكم بأحقيته فى ماله وتجارته وأراد أن يستحثه بدوافع العقل والحكمة والموضوعية ، فالموت أهون عليه من البقاء والعيش مع هؤلاء الأحياء الذين صموا آذانهم وقلوبهم عن العدل والحق .. وكانت صراحة "خون إنبو" مع القاضى "رنس" وشجاعته وما سجله فى رسائله من حكمة وموعظة وراء إسراع القاضى بالرسائل إلى الملك "خيتى" الذى عرف بحكمته وحبه للعلم والمعرفة ، فقرأ الملك الحكيم رسائل "إنبو" وأدرك صدقه وصراحته وما فيها من حكمة وبلاغة ومعرفة بدوافع الفساد والظلم وكيفية معاملة القضاء والوزراء لأصحاب الحقوق والفقراء وكانت عدالة الملك وإحقاق الحق غاية تحققت على يد الملك الذى أمر "رنس" بإحضار سجل الضرائب الخاص بالناحية التى يقطنها "خون إنبو" وأمر بالتحقيق مع "تحوتى نخت" وحصر أملاكه وما طرأ عليها من تضخم ، ثم أمر بعقابه وأن

تسلم ثروته للقروى الحكيم صاحب الحق ورد جميع ممتلكاته وبضاعته التى استولى عليــــها "تحوتى نخت" وعادت دوابه محملة بالبضائع والهدايا التى قدمها له الملـــك جـــزاء صدقـــه وحكمته وشجاعته[1].

---

[1] راجع حوارات إنبو فى :

- الكاتب المصرى : سيد كريم ص ١٨١ – ١٩٢.
- الشرق الأدنى القديم جـ ١ د. عبد العزيز صالح ص ٣٩٤ – ٣٩٧.
- مصر الفرعونية د. أحمد فخرى ص ١٨٠ – ١٨٤.

إخناتون A K HENATON
1382 - 1340 ق.م

أولا- نشأة إخناتون الفكرية:

نشأ إخناتون فى بيت علم وملك وحكمة فوالده هو الملك **"امنحوتب الثالث"** الذى حكم مصر حوالى ستة وثلاثين عاما بين ١٣٩٧ إلى ١٣٦٠ ق.م وأشتهر بقدرته على تحقيق الاستقرار والأمن ، وسمى عصره بعصر الرخاء والنهضة الفنية والمعمارية.

وإخناتون هو الملك **"امنحوتب الرابع"** الذى تولى الحكم فى أخر أيام والده وأدرك أسباب الضعف والقوة ، ومساوئ الانغماس فى حياة الثراء واللهو ، كما أدرك خطورة تعدد الآلهة وانتشار الأساطير والسحر والاعتماد على الخيال.

ويعتبر **"إخناتون"** أشهر ملوك الأسرة الثامنة عشر التى بدأت بعصر التحرير بقيادة الملك أحمس عام ١٥٧٠ ق.م وانتهت بآخر ملوكها **"حور محب"** عام ١٣٠٨ ق.م .

وقد استمر **"إخناتون"** ملكاً متوجا على عرش مصر حوالى واحد وعشرين عاماً منذ عام ١٣٦٧ إلى ١٣٤٦ ق.م.

ومنذ توليه الحكم اهتم بإصلاح شئون البلاد الداخلية والخارجية وكان الإنسان والمجتمع محور هذا الاهتمام ، وأدراك أن الإصلاح يتطلب موقف حازم ومنهج متكامل يشمل جميع الشئون السياسية والخلقية والاجتماعية والدينية.

ومن أجل ذلك كان له موقفة الحاسم من الكهان ورجال الدين الذين دأبوا على التدخل فى شئون الحكم واستغلال النفوذ والسلطة فى تحقيق الثروة والسيطرة الفكرية على عقول العامة.

وترجع شهرة **"إخناتون"** إلى موقفه من تعدد الآلهة ودعوته إلى التوحيد الخالص وما قدمه من أراء فى الحياة والموت والحكمة والدين ، وما حققه من

إصلاحات فى مجال الأخلاق والاجتماع ، ونجاحه فى القضاء على العديد من الخرافات والأساطير المتوارثة ، وكان نجاحه فى تدعيم القيم الخلقية والدينية وراء تسميته بالملك الفيلسوف.

ثانيا - فلسفة إخناتون الدينية ونتائجها العملية :

تميزت فلسفة اخناتون بخاصية الشمول لحقائق الوجود الإلهى والإنسانى والاجتماعى، وأنها عبرت بصدق عن اهتمام الإنسان بالتقاليد الراسخة والقيم الخلقية والجمالية وفى مقدمتها العدل والخير والحب والصبر والوحدة والالتزام ، وقد ظهر هذا بوضوح من خلال حرص إخناتون على التطبيق العملى لهذه الآراء فى مختلف المجالات السياسية والخلقية والاجتماعية والفنية.

كما تميزت فلسفته بخاصية البحث الميتافيزيقى من خلال اهتمامه بأصل الحقيقة أيا كان مصدرها أو مجال تطبيقها وخاصة المجال الإلهى فكانت الحقيقة هى وحدانية الإله الذى لا شريك له ولا شبيه له لأنه منزه عن الجسمية والمادية والصورة البشرية.

لذلك بدأ "**إخناتون**" دعوته بتحديد ملامح وصفات الإله الواحد الذى يجب أن يتوجه إليه الجميع بالعبادة **فقال**: إنه "**آتون الواحد**" الذى لا شريك له ولا محل لتعدد الأرباب فيه أو الربات إلى جانبه ليس هو "**أمون**" ولكنه "**آتون**" الذى يرمز إلى وحدانيته وتفرده بقرص الشمس الذى يعطى القوة والحياة والنماء الذى لا يميز فى عطائه بين كائن وآخر الذى يعرف الأسرار وحده ويهيمن على الوجود بكيانه ويضع كل شى فى مكانه.

وقد ترددت هذه المعانى فى أذكار "**إخناتون**" التى جاء فيها أيها الإله الواحد الذى لا شبيه له ما أعظم أعمالك التى عملتها إنها خافية على الناس ... لقد خلقت الدنيا كما شئت عندما كنت وحدك.

الناس والماشية والوحوش الضارية وكل ما على الأرض يسعى على قدميه وكل ما يرتفع فى السماء ويطير بجناحه. إنك تضع كل شى فى مكانة إنك

أنت الذى تمدهم بما يحتاجونه .. ويحصل كل شـخص علـى طعامـه وسـنوات حياتـه مقدرة لـه.

ويؤكد "**إخناتـون**" على صفات آتون الإلـه الواحـد وقدرتـه ووجـوب طاعتـه وتنزيهه عن المادة والجسـمية والصـورة فـلا يرمـز إليـه بحيـوان أو إنسـان ، إنـه "**آتون**" الذى يشـهد النـاس آياتـه دون حجـاب (**كشـعاع الشـمس**) ولـهم أن يعبـدوه حيثما سقط من كوكبه علـى الأرض شـعاع.

وإلى جانب ذلك يجب أن يتميز بصفات ليست فـى البشـر كـالخلق والرعايـة والقوة والحياة والجلال والبهاء والعظمة والبقـاء ... فيقـول "إخنـاتون" فـى مناجاتـه : أيها الإله يا من تتجلى فى آفاق السـماء.. أنـت البديـع .. أنـت آتـون الحـى وأصـل الحياة ... أنت البهى ... أنت الجليل ... أنت العلـى فـوق كـل الأرض[1].

وتتكرر هذه المعانى فى تعاليمـه وأذكـاره فيقـول : "أنـت تطلـع ببـهاء فـى أفق السماء – يا آتـون الحى يا بدايـة الحيـاة عندمـا تـبزغ فـى الأفـق الشـرقى .. تملأ الدنيا بجمـالك.

أنت جميل وعظيم .. أنت متلألئ وعـالى فـوق كـل البـلاد وتحيـط أشـعتك بالأراضى كلها التى خلقتها ... لأنك أنت رع... بالرغم إنـك بعيـد فـان أشـعتك علـى كل الأرض ، وبالرغم إنك أمام عينهم فلا يعرف أحـد خطـوات سـيرك[2].

ورأى إخنـاتون أن البشـر يجـب أن يعتقـدوا بـهذه الصفـات وأن يتعبـدوا ويناجو الإله بها فذلك الواجب لأنه الإلـه الـذى يعلـو جميـع الكائنـات والقـادر علـى تحقيق الأمن والحياة لجميع البشـر. لأنـه هـو الـذى خلـق الجميـع علـى اختـلاف ألسنتهم وألوانهم ومواطنهم وتكفـل بأرزاقـهم وحمايتـهم وكـان معجـزا حيـن وهـب

(٢،١) د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية ص ٣٢٤ – ٣٢٥.
د. نجيب ميخائيل : مصر والشرق الأدنى القديم حـ ٢ ص ١٠٣ – ١٠٤.
د. محمد عبد اللطيف : فكرة الخلق فى مصر القديمة ص ٣٣٤.
د. فتحى العقيل : إخناتون الفرعونى ط ١٩٩٣ م : ص ٤٢ – ٤٣.

مصر فيضانا من الخفاء **(أى العدم)** كريما جـواداً حيـن وهـب غـيرهم فيضانـا مـن سحب السـماء.

ويستنتج "**إخناتـون**" من هذه الدلائـل والصفـات دليـلا عقليـا علـى وجـوب وحدانية الإله ووجوب عبادته **فيقـول** : "مـادام الخـالق الـرازق واحـدا رحيمـا هنـا رحيما هناك ، جوادا هنا جوادا هناك لا تفرق أشـعته بيـن فـرد وآخـر فلـم لا يجتمـع الناس على عبادته كما اجتمعوا على النفـع منـه.

وتظهر مثالية "**إخناتـون**" واضحة فـى أذكـاره عندمـا يصـف "**آتـون**" إلـه الشمس بأنه عظيم الرحمة بجميع خلقـه وأنـه كـالأم والأب فـى رحمتـه وأن عظمتـه تكون فى استقلال قدرته وإرادته وحبه وعطفه علـى جميـع مخلوقاتـه التـى يجـب أن تتوجه إليه بالعبادة والشكر والعرفان فيقول فـى أذكـاره[1]:

أيها الإله الأوحد الذى لا شبيه لـه.

الزهر ونبت الأرض يتفتح لمرآك وتتملكه النشـوة لمحيـاك.

والأنعام تـتراقص علـى أقدامـها والطيـور فـى أوكارهـا تطـوى أجنحتـها وتنشرها تسبيحا "**لآتـون**" الحـى خالقـها.

والأرض بأسرها عامرة بحب الإلـه وكذلـك العشـب والشـجر حيـن يتمـايل لمرآى أنوارك والأسماك فى الماء تـتراقص لرؤيتـك.

---

(١) Sand man : Texts from the time of AKHENATON (1938).

هذه الأذكار والتسابيح عرفت بالنشيد الكبير لإخناتون وهو عبارة عن أدعية وصلوات وتعاليم كان يدعـو إخناتون قومه إليها وكان يتعبد بها وهو فى محرابه فى رحاب الكرنك.

راجع : د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية – ص ٣٢٤ – ٣٢٩.

د. عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم جـ ١ ص ٣٦٣– ٣٦٤.

د. علاء حمروش : تاريخ الفلسفة الشرقية ص ٢٣.

ولقد كان لهذه الآراء فى الألوهية والتوحيد العديد من النتائج الإيجابية منها :

١. تحقيق وحدة الفكر والاعتقاد والقضاء على فكرة التعدد وتغلغل الفكر المادى وعبادة ظواهر الطبيعة والتى كان يتزعمها الكهان وأتباعهم الذين كانوا يعتقدون ضرورة التعبد لجميع الآلهة مع الاعتقاد بوجود الإله العظيم الذى فوقهم وهو "رع" أو "آمون" بوصفه كبير الآلهة.

وهذه الآلهة هى :-

- الإله الأعظم "رع آمون" إله الشمس.
- الإله "نينوت" إله الفراغ.
- الإله نوت إله السماء.
- الإله إيزيس إله العدالة والمحبة الأرضية.
- الإله نفتيس إله القاحلة والقحط.
- الإله سوا إله الهواء.
- الإله جيب إله الأرض.
- الإله أوزير إله النيل والحساب.
- الإله ست إله الصحراء .

وعلى ذلك كانت حقيقة الألوهية الواحدة والتعبد لإله واحد أكثر إقناعا مما كان يقدمه الكهنة ، وأثبت عمليا وعقليا أن الولاء لأرباب عديدين هو الضلال والجهل بعينة، ونبه الناس إلى أن التعدد يبيح لكل ذى سطوة أو سلطان أو قوة خارقة أن يؤلهه الناس ويقدسوه ، بالإضافة إلى خطر الفرقة والانقسام من تعدد الآلهة وتوزيع الولاء والانتماء وتعصب كل أقليم للإله الخاص به.

٢. تعميق الشعور الدينى بمقدرة الخالق الأحق بالعبادة والتقديس على الأحياء والبعث والخلود والحساب ، لأنه وحده الذى يملك الإرادة والسيادة والعلم والحياة ، وهذا ما عبرت عنه تعاليم إخناتون صراحة حين يقول :

أيها الإله الأوحد الذى لا شبيه له .. أنت الذى خلقت نيلا فى ذلك العالم الآخر .. وأنت الذى يأتى به عندما تشاء ليفيض على الناس .. وذلك لأنك أنت الذى خلقتهم لأجل نفسك وأنت سيدهم جميعا ، سيدهم الذى يشغل نفسه من أجلهم .. أنت آتون

شمس النهار عظيم البهاء .. أنت عظيم بأعمالك كلها أنـــت خلقـت الدنيـا كمـا شئت عندما كنت وحدك ، وأنت تضع كل شى فى مكانه.

٣. إخضاع التدين لإعمال العقل وحجـج المنطـق والدليـل ، وفـى هـذا اسـتطاع "**إخناتـون**" بأدلة العقل بيان مدى الاختلاف بين "**آتون وآمـون رع**" مـن حيـث الصفات والتنزيه عن المشابهة والجسمية ، ومن حيث الأدعية والأذكار التى يجـب التعبد بها.

وأثبت أنه لا يمكـن تصـور الإلـه علـى هيئـة محسوسـة سـواء بشـرية أو حيوانية لأن ذلك نوع من التمويه والخطأ والبـهتان لأن الإلـه يجـب أن يكـون القادر الذى لا يضعف والدائم الـذى لا يغيـب والخـالد الـذى لا يفنـى ، وهـو الذى لا تعدد فيه ولا جسمية وهو المتحكم فـى جميـع الكـون والراعـى لجميـع المخلوقات وهو وحده المحاسب علـى الأعمـال.

وبعد تحقق القناعة العقلية بالوحدانية أوجب "**إخناتـون**" اسـتخدام كلمـة الإلـه مفردة وإلغاء كلمة الآلهة أو الأربـاب.

كما أمر بنـزع اسم "**آمـون**" وإخفاء معالمه حتى لا يعـود أحـد للاعتقـاد بـه أو بأى آلهة أخرى ، كما أزيلت أسماء الآلهـة مثـل "**بتـاح وحتحـور وأوزيـر وإيزة ومونتو وجيب**" كما محيى اسم النـور المقـدس[1].

٤. القضاء على العديـد مـن العـادات والخرافـات والشـعوذات وأعمـال السـحر وصناعة الدمى والتماثيل الصغيرة التى كانت تـدر ربحـا وفـيرا علـى الكهنـة ورجال الدين لاعتقادهم بأنها يمكن أن تـؤدى الأعمـال بـدلا مـن الميـت عنـد

---

(١) د. عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم جـ ١ ص ٣٦٣.
وفتحى العقيل : إخناتون الفرعونى ص ١٩ – ٢٦.
سعيد توفيق : استخدام الحاسب الإلكترونى فى ميدان الآثار تجربة معبد إخناتون مجلة كلية الآثار يناير ١٩٧٦م).

الحساب أو بعد الموت فى الحياة الآخـــرة ، وحـــل محلـــها الدعـــوات والأذكـــار التى تمجد الإله الواحد وتصور آيات القـــدرة الإلهيـــة.

٥. القضاء على دعائم الفكر الأســطورى المتوارثـــة والتـــى كـــانت تعطـــى أوزيـــر مكانة غير عادية ، وقـــد أكـــد ذلـــك العديـــد مـــن البـــاحثين والمؤرخيـــن فـــى مقدمتهم جيمس هنرى برستيد ، ويؤيده كل مـــن هـــول وأرثـــر .

وذكر برستيد أن "إخناتـــون" أول رجل مثالى فى تـــاريخ العـــالم لأنـــه صـــاحب أول نظرية فى التوحيد الخالص ، وأن إيجابية دعوته تتمثـــل فـــى قدرتـــه علـــى إزالة كومة كبيرة من الخرافات غير الرشيدة وإنـــــه نجـــح عمليـــا فـــى إصـــلاح مجتمعه والقضاء على العديد من الأساطير المتوارثـــــة مثـــل القـــول بـــأن النيـــل هو "أوزير" ، وأن الفيضان يرجع إلى غضب الآلهـــــة وقـــوى الطبيعـــة وبعـــض الحيوانات المســـيطرة.

٦. التأثير القوى فى الحياة الفكرية والدينيـــة لمعظـــم شـــعوب منطقـــة الشـــرق فـــى آسيا وشمال أفريقيا ، ويؤيد هذه الحقيقـــة كـــل مـــن جـــون ويلســـون ، وجـــورج ساراتون وكذلك والس بيدج وبرستيد وغـــيرهم مـــن البـــاحثين ورجـــال التـــاريخ والآثـــار.

أكد هؤلاء على أهمية أفكار "إخناتـــون" ودوره فى تعميق الشـــعور بعبـــادة الإلـــه الواحد ، وأنه لم يكن يتعبد لقرص الشمس بل إلى القدرة التى وراء هذا القـــرص ، ومن ثم كانت دعوته قمة التطور فى الفكر الديني قبل عصر الرســـالات "أنبيـــاء اليهود".

وذكر برستيد أن عقيدة "آتـــون" التى نـــادى بـــها "إخنـــاتون" كـــان لـــها أثرهـــا الإيجابى فيمن جاء بعده من مفكريـــن وموحديـــن. ودليـــل ذلـــك مـــا وجـــد مـــن تشابه كبير بين أدعية "إخناتـــون" وما كتـــب فـــى التـــوراة عـــن الإلـــه والبشـــر وخاصة المزمور رقم [١٠٤]. كما أشـــار إلـــى منطقيـــة الأدلـــة التـــى أوردهـــا

"إخناتـــون" على وحدانية الإله وقدرتـــه ، وأن التوحيـد الخـالص القـائم علـى تنزيه الإله كان حقيقة عالمية عرفتـــها الإنســانية[1].

وأشار "جورج ساراتون" إلى مـدى نجـاح "إخنـاتون" فـى هـدم الكثـير مـن المعتقدات الباطلة والأفكار الخاطئـة عـن الألوهيـة والاعتقـاد بقـوى طبيعيـة وحيوانية وآثر ذلك فـى توجيـه سـلوك البشـر ، وقـال إن إثبـات الوحدانيـة والقدرة فى أدعية "إخنـاتون" تجعلنـا نصـرح بـأن "إخنـاتون" قـد أدرك مـن وجود الإله قدر ما نستطيع نحن أن ندرك مـن وجـوده.

وهذا الرأى أيضا يؤيده "والس بيدج" ويشير إلـى نجـاح "إخنـاتون" فـى نشـر الوحدانية ويقـــول : "إن الفكـر الدينـى القـائم علـى التوحيـد عـرف قبـل إخناتون وأن الوحدانية التى كان يدركها المصريـون قبـل عصـر إخنـاتون لـم تكن وحدانية تفكير ولكنها وحدانيـة تغليـب"[2].

ولاشك أن وحدانية الإلـه وتنزيهـه عـن المشـابهة والجسـمية التـى ظـهرت واضحة فى تعاليم "إخناتـون" قد أشـارت العديـد مـن البـاحثين منـهم العقـاد الذى رأى أن توحيد "إخناتـون" يعتمد علـى التنزيـه المطلـق للإلـه وأن هـذا

---

(1) J.H. Breasted : ACITY of EKHENATON in Nobia, 1902 P. 109 – 110. J.H. Breasted : The Dawn of Conscience. N.Y. 1939 P. 28 – 103.

د. عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم حـ ١ ص ٣٦٠ – ٣٦٢.

وعباس العقاد : مطلع النور ط ١٩٦٨م : ص ٩٦.

(2) Gorge Saraton. The history of Science and the New humanism, NEW YORK '1956'.

L.A. White: AKHENATON, The Great man and the culture, Process in Jars L.X. Vill 1948.

J.A. Wilson; The Burden of Egypt. Seconed imp 1954.

مترجم : بعنوان الحضارة المصرية

J.A. Wilson; The culture of A ncient Egypt. Chicago, 1963 P. 211 – 213.

د. فتحى العقيل : إخناتون الفرعونى ص ٣٤ – ٤٢.

د. نجيب ميخائيل : مصر والشرق الأدنى القديم حـ ١ ، ص ١٩٣ – ١٠٤.

التنزيه هو قمة العبادة والمعرفة بحقيقـــة الإلـــه وأن العبــادة التـــى دعـــى إليـــها "**إخناتون**" منذ ثلاثة وثلاثين قرنا كـــانت غايـــة التنزيـــه فبلغـــت دعـــوة التوحيـــد به أعلى مرتقاه وبلغت بتنزيه الإله غايـــة لـــم يدركـــها حتـــى اليـــوم كثـــير مـــن الأمم فى البلاد الشرقية أو الغربيـــــة.

وذكر الدكتور مصطفى محمود فى كتـــاب الله إن التوحيـــد علـــى يـــد "**إخنـــاتون**" قد وصل إلى ذروة النقاء والتجريـــــد.

ثالثا – فلسفة إخنـــاتون الأخلاقيـــة والاجتماعيـــة :

ظهر اهتمام "**إخناتـــــون**" بالإنســـان والأســـرة مبكـــرا ، أى منـــذ قبـــل توليـــه الحكم وتأمله فى واقع الإنسان وما يعترضـــه مـــن عوامـــل ومـــا يواجهـــه مـــن شـــرور وأخطار ، وحين أدرك أهمية القيـــم والعـــادات فـــى تشـــكيل ســـلوك الفـــرد كمـــا أدرك أهمية المعتقد فى تكوين شـــخصية الفـــرد وتوجيـــه فكـــره وســـلوكه وقـــد ظـــهر ذلـــك بوضوح من خلال مواقفه العملية تجاه مصادر الشر وســـــوء العـــادات المتوارثـــة.

ومنذ توليه "**إخناتـــون**" الحكم وبدايـــــة دعوتـــه للتوحيـــد ظـــهر مـــدى اهتمامـــه بالقيم قدر اهتمامه بالحقيقة وبناء الإنسان ، والتـــأكيد علـــى الـــترابط الوثيـــق بيـــن عـــالم الألوهية وعالم البشرية رغم تنزيه الإله واختـــلاف الصفـــات بينـــهما.

ففى مجال البشرية كـــانت الحقيقـــة هـــى الالـــتزام بمبـــادئ التعـــاون والعدالـــة وفق مبدأ الحق والمساواة. ولتطبيـــق ذلـــك يجـــب أن تســـمى الأشـــياء بأســـمائها فذلـــك عنده هو الحق والصدق وألا يلجا النـــــاس إلـــى النفـــاق والمداهنـــة فذلـــك هـــو الكـــذب والخـــداع .

وهو يرى أن الأصـــل هـــو التســـاوى وأن الحـــق فـــى الصـــد ق والعـــدل وأن الاختلاف البشرى فى اللغة والفكر وفـــى اللـــون وفـــى الطبـــائع هـــو أمـــر فطـــرى لآن هذا التميز مرجعه لأمر إلهى وحكمـــــة بالغـــة هـــى إثبـــات قـــدرة الخـــالق وعظمتـــه ، ولولا هذا الاختلاف والتميز لما اســـــتمرت الحيـــاة.

ويعبر "**إخناتـــون**" عن هـــــذه المعـــانى حيـــن يقـــول فـــى تعاليمـــه : "يختلـــف الناس فى لغاتهم كما يختلفون أيضا فى طباعــــهم". ويمتـــازلون جلودهـــم عـــن بعضـــهم

البعض ، لأنك أنت أيها الإله العظيم ..الذى يميز أهل الأمم الأجنبية. أنت الذى خلقت نيلا فى ذلك العالم الآخر ، وأنت الذى يأتى به عندما يشاء لتبقى على الناس ، وذلك لأنك أنت الذى خلقتهم لأجل نفسك وأنت سيدهم جميعا – سيدهم الذى يشغل نفسه من أجلهم.

وتظهر فلسفة "إخناتون" الأخلاقية والاجتماعية واضحة فى قدرته على إظهار الصلة بين صفات الإله وأفعال البشر، وإنه ليس هناك تناقض بين وصف الإله بالرحمة والعدل والعطف والحب لأنه المحبوب فى كل أمره والعطوف بجميع خلقه ومن أجل ذلك كان خلق الكون عن هذا الحب وهذه الرغبة. فإذا كان الإله فى صفته وفعله هكذا فقد وجب على البشر أن يكونوا كذلك أى يجب أن يتحلوا بهذه الصفات وأن تظهر هذه الصفات فى جميع أفعالهم.

ويرى "إخناتون" أن صفة العدالة هى أبرز صفات الإله ، لأن عدالته قد استوجبت أن ينتفع القريب والبعيد بفضله ونعمته ودفئ شمسه ، كما استوجبت أيضا أن يتحلى الحاكم بوصفه خليفة الإله بالعدالة لتصبح وظيفته الخلقية التى بمقتضاها ينتظم الحكم وتستقيم الأمور . ويؤكد "إخناتون" أن العدالة تستوجب الوحدة والمساواة أى وحدة الفكر والاعتقاد ووحدة الإله ، وكان هذا المعتقد وراء مواقفه الإصلاحية لتصحيح المعتقدات والعادات القبلية التى أفسدت الحياة الاجتماعية وأضعفت الدولة وأدت إلى الفرقة والاختلاف وفى مقدمتها :

١. تمسك كل مدينة أو أقليم بإله ورمز خاص يميزه على صورة حيوانية أو بشرية وجعلوا لكل إله أسرة وأبناء ، وكان كل أقليم يتعصب للإله الذى يخصه ويتعبد له وحده.

- فكان أوزير (أوزوريس) يعبد فى أبيدوس وكان له زوجة هى "إيسة" وابن هو حور.
- وكان "بتاح" يعبد فى ممفيس . وهو إله منف الكبير وكان على شكل إنسان برأس عارية واضعا يديه فوق صدره وممسكا بصولجان وكان له أسرة مكونة من "سخمت ونفرتم".

- وكان "آمون" يعبد فى طيبة وكان يومز إليه بشكل بشرى وكان له أسرة إلهية مكونة من زوجة وأم وأبن ، وكان اسمه رمز للهواء والخفاء.
- وكان حور (حورس) يعبد فى إدفو .
- وكان "هاتور" يعبد فى دندرة.
- وكان "حتحور" يرسم برأس أدميه وقرنى بقرة رمزا للحنو والعطاء والأمومة.
- وكان "تحوت" يرسم بشكل الطائر أبيس (أبو منجل) رمزا للحكمة والذكاء.
- وكان "موت" يرسم برأس أسد رمزا للقوة والشجاعة والسيطرة.
- وكان "سوكر" يعبد فى منف أيضا ويرمز إليه برأس الصقر وشكل الإنسان رمزا للعلو والقوة والانقضاض.
- وكان "بتاح" رمزا للحكمة والعلم والمعرفة والصناعة.
- وكان "رع " رمزا للنور والضياء ، وهو إله الشمس الذى أنتشر عبر مختلف العصور وأستمر عبر الدولة الوسطى والحديثة وكان الملوك والأمراء ينسبون أسماؤهم إليه ، وكانت عبادته أكثر العبادات انتشارا واستمرارا. وقد تسمى الملوك به وانتسبوا إليه مثل (سوبك رع – أخر رع – تحوت رع – بتاح رع).

٢. خلط الكهان ورجال الدين بين عالم الأخلاق وعالم الموت والخلود فنقشت التعاويذ السحرية على الجعارين والدمى الصغيرة لكى تخمد وعى الضمير عند الميت المتهم وتساعده وقت الحساب .. وأن كلمات السحر تضمن براءة الميت بعد الموت وتحفظ جثته وتدافع عن ثروته وممتلكاته فى الدنيا كما تدافع عنه وقت الحساب.

٣. انتشار العادات السيئة الناتجة عن الاعتقادات الخاطئة فى الخرافات والأساطير والشعوذات التى كان ينسبها الكهان للآلهة ، وما ينتج عن ذلك من تشتت للفكر وغموض للمقاصد وبعد عن العقل وغوص فى غياهب الجهل والتخلف.

وكان موقف "إخناتون" هو الاعتماد على العقل والمنطق فى إظهار الحقائق وإثبات أهمية وضوح المعتقد والوحدة الدينية والفكرية فى كشف أخطاء الكهنة ومدى الخطر الذى يهدد الوحدة السياسية والاجتماعية نتيجة توزع الأقاليم وتعدد المعتقدات والآلهة وتشتت الفكر.

وفى هذا الإطار أنشأ "إخناتون" المحاكم الدنيوية لحساب المخطئ والمسيء ومن يتجاوز حدود العرف ويخرج عن الحق والعدل والنظام ، وأنشأ مجالس من الكتاب والحكماء لإدارة الاجتماعات والندوات لمناقشة المشاكل ومواجهتها عمليا بدلا من الركون إلى الخرافة أو السحر .

وجعل القوم يعتمدون على العمل والفكر ويتعبدون بالأدعية والأذكار التى تمجد الإله الواحد ، والتى تحث على فعل الخير فى الدنيا وطلب المغفرة والرزق من الإله وحده ، لأن "أتون" هو الإله القادر وحده على تحقيق الرجاء والسعادة والحياة الخالدة ، كما أنه القادر وحده على توفير أسباب الرزق والطعام لجميع البشر ، إنه الإله وليس السحر والجعارين والخرافات.

إن ما كان يردده "إخناتون" فى دعواته ويعلمه لأتباعه وينشره ليكون منهجا ومعتقدا لجميع البشر يعكس مدى نضج فلسفته وشمول فكره ومنهجه وأن الآراء التى ترددت فى تعاليمه تمثل بحق قمة الفكر الدينى والسياسى فى عصر الدولة المصرية الحديثة فى زمن الأسرة الثامنة عشر قبل الميلاد كما تؤكد على الأثر الاجتماعى وما نتج عن نجاح دعوته من تغير إيجابى فى المعتقد والسلوك وتحرر الفكر وتحقق للوحدة الفكرية والسياسية فكان انتشار التوحيد من جهة مقدمة ضرورية للالتزام بمبادئ الخير والعدل والصدق ، كما كان سبيلا للقضاء

علـــى العديـــد مـــن المســـاوئ الأخلاقيـــة والمفاســـد الاجتماعيـــة والعـــادات الســـــيئة المتوارثـــة.

رابعا - أدلـة التوحيـد عنـد إخناتـــون :

١. دليـل الوحـدة.

أى أن الإله يجب أن يكون واحدا وتتجلـــى وحـــدة الإلـــه فـــى فرديتـــه أى فـــى كونه الإله الفرد المتميز بفرديته أى ليـــس معـــه ســـواه فـــى الملـــك والألوهيـــة وليس معه شبيه ولا نظير فـــلا يشـــاركه فـــى قدرتـــه ولا إرادتـــه ولا عظمتـــه أحد "سواه" وقد عبرت كلمات "**إخناتـــون**" فى أدعيته عن ذلـــك **حيـــن قـــال :**

" اللهم أنك أنت الإله الواحد الأحد الـــذى ليـــس معـــه ســـواه وليـــس لـــه مـــن نظير ، برأت الدنيا وكنت فردا **(أى خلقتـــها)** وخلقـــت الأنعـــام والبشـــر وكـــل ما يسعى على الأرض بقدم أو يحلق فى الفضـــــاء بجنـــاح[١].

"اللهم إنك أنت الرب العظيم ، الواحد المحبـــوب وأنـــت الرحيـــم أنـــت كـــالأب والأم لكل مخلوق ، لك أنت يســـبح البشـــر والحيـــوان والطـــير والنبـــات كـــل منـــهم بطريقتـــه ، والزهـــر ونبـــت الأرض ينفتـــح لمـــرآك وتتملكـــه النشـــوة لمحياك والأنعـــام تـــتراقص علـــى أقدامـــها والطيـــور فـــى أوكارهـــا تطـــوى أجنحتها وتنشرها تسبيحا لآتـــــون الحـــى خالقـــها. والأرض بأســـرها عـــامرة بحبك والعشب والشجر يتمايل لمطلع وجـــهك والأســـماك فـــى المـــاء تـــتراقص لرؤيتـك .

ودليل الوحدة الذى عرضه إخناتون فـــى عقيدتـــه يشـــير إلـــى الأثـــر الإيجـــابى لهذا المعتقد ، فوحدة الإله وتوحده تجمـــع القلـــوب والمشـــاعر وتجمـــع الأفكـــار والمشارب ، وهو فى هذا يذكر الشعب بأثر الوحدة والاعتقـــاد بـــها فـــى توحـــد

---

[١] يمكن الاستدلال على ذلك بما جاء فى أدعية إخناتون وتعاليمه من أدلة على وحدانية الإلـــه وقدرتـــه ، ومدى الارتباط بين الصفات الإلهية والسلوك البشرى (راجع فى ذلك) أدلة التوحيد عند إخناتون

الشعب لتحقيق النصر على الهكسوس عندما أرجعوا النصر إلى آمون كإله عظيم وواحد هو رب الوجود وخالق البشر والأكوان .

وكان دور إخناتون هو التذكير بهذا الدليل وأهميته وأنه لم يأت بما يغاير المعتقد السليم والعرف. فكان "آمون" إله طيبة هو حور الأفق وكانت الأدعية والصلوات توحد بين أسماء الآلهة ، وكانت تصف الإله بالتفرد والعظمة وتقدم "آمون" على جميع الآلهة والأرباب في كل البلاد.

ودليل الوحدة عند **"إخناتون"** يؤكده الشعور الفطرى بضرورة تميز الإله فى وجوده عن باقى الموجودات ومن ثم تكون الوحدة هى الفطرة السليمة التى تتميز فى ميل الفرد الطبيعى نحو التوحد والتميز ، فالإله يجب أن يكون متميزا ومنفردا بصفات وأفعال لا يفعلها إلا هو.

ولا شك أن هذا الشعور الفطرى بوحدانية الإله كان مترسبا فى وجدان الشعب المصرى منذ بداية العصر الحجرى الحديث ومنذ نشأة الأسرات وظهور الديانات والرسالات وبعث الرسل والأنبياء الذين تواجد عدد كبير منهم على أرض مصر ابتداء من إدريس علية السلام وحتى موسى وعيسى ومحمد ﷺ[1].

٢. دليل القدرة والكمال:

ويتمثل فى محاولة **"إخناتون"** إثبات وحدانية الإله من خلال إثبات أن الإله الذى يملك القدرة والجبروت والإماتة والأحياء هو إله واحد ، وإن قدرة هذا الإله تتمثل فى كماله وعظمته وفى بقائه وخلوده وعموم قدرته.

ولأنه الواحد القادر فقد تعددت مظاهر قدرته لتشمل جميع الخلائق والكائنات واعترافها بذلك وأن تسبيحها له وشكرها دليل ذلك.

---

[1] راجع فى ذلك أنشودة الإله آمون (إله الشمس الأوحد) التى كتبها الأخوان سوتى وحور وسجلت فى صور ومناظر ونقوش ، وكان ينشدها الشعب فى صلواتهم واحتفاليتهم.

وبما أن القادر هو الذى يملك تصريف الأمور وحده لأنه لو كان ضعيفا لأحتاج إلى آخر ولذلك ، فلابد أن يكون القادر واحدا.

وبما أن القادر هو الذى يقدر على الخلق والإيجاد والابتداء والانتهاء والإماتة والإحياء ، فهذه القدرة لا تكون إلا لواحد لأن الذى بسط الأرض ورفع السماء هو المالك للأمور كلها والذى يضع كل شئ فى مكانه فلا ينازعه فى الملك أحد ولا فى هذه القدرة منافس.

وقد عبرت كلمات "إخناتون" بوضوح عن هذه المعانى حين قال : " أيها الإله الأوحد الذى لا شريك له. لقد خلقت الدنيا كما شئت ، وعندما كنت وحدك .. ما أعظم أعمالك التى عملتها إنها خافية على الناس .... الناس والماشية والوحوش الضارية وكل ما يسعى على الأرض بقدميه أو يرتفع فى السماء ويطير بجناحيه .... إنك أنت الذى يمدهم بما يحتاجونه ... إنك أنت الذى تضع كل شئ فى مكانه. إنك أنت الذى يجعل الناس جميعا يؤدون أعمالهم ... عندما يغسلون أجسامهم ويلبسون ملابسهم ويرفعون أذرعتهم ابتهالا عند ظهورك ... عندما تقتنع كل الحيوانات بمراعيها وتزدهر الأشجار والنباتات والطيور التى تطير من أعشاشها وتمد أجنحتها لتمدح قوتك.

عندما تقف الحيوانات على أقدامها وتسير السفن نحو الشمال والجنوب وتكون الطرق كلها مفتوحة بقوتك.

(٣) دليل الخلق والعناية :

ويتمثل فى إثبات قدرة الإله الواحد على الخلق والعناية والتدبير وأن الخالق لابد أن يكون هو الواحد لأن الخلق دليل على عظمة القدرة ورعاية الخلق منذ ابتدائه وحتى انتهائه دليل عنايته وحفظه لخلقه وللحياة التى وهبها لمخلوقاته. ويشير **"إخناتون"** إلى مظاهر قدرة الخالق وعنايته **حين يقول:** "أيها الإله الأوحد الذى لا شبيه له ... أيها الخالق لبذرة الحياة فى النساء .... إنك أنت الذى يجعل من البذرة السائلة إنسانا

..... إنك أنت الذى يعتنى بالطفل فـــى بطــن أمــه وأنـــت الـــذى يهدئـــه بمـــا يوقف بكائه ، أنت الذى تعتنى بـــه وهـــو فـــى الرحـــم ، وأنـــت الـــذى تعطـــى النفس ليحفظ حياة كل مخلـــوق ...

عندما ينزل الطفل من بطن أمه ليتنفس فى اليـــوم الـــذى يولـــد فيـــه تفتـــح فمـــه وتمده بكل ما يحتاج إليـــه ....

وعندما يصرخ الكتكوت فى داخـــل البيضـــة فـــأنت الـــذى تمـــده بـــالنفس فـــى داخلها ليعيش ، وعندما يتم خلقه داخل البيضـــة تجعلـــه يكســـرها ويخـــرج مـــن البيضة وهو يصوصو إذا ما كان موعده ويمشى علـــى رجليـــه عندمـــا يخـــرج منـــها .....

وإذا كانت هذه كلها مظاهر للرعايـــة والعنايـــة ودليـــل علـــى أن الخـــالق هـــو الإله الواحد ، فـــان الخلـــق دليـــل علـــى الصنعـــة ودليـــل علـــى الصـــانع وأن المخلوقات صور صدرت عن الإلـــه الواحـــد بمشـــيئته..... وهـــو يعـــبر عـــن ذلك فى تعاليمه حين يقول : "أيها الإلـــه الأوحـــد الـــذى لا شـــبيه لـــه .. لقـــد خلقت السماء البعيدة لتشرق منها وحتى ترى كـــل مـــا صنعـــت وذلـــك عندمـــا كنت وحيدا تشرق فى صورتك "كآتـــون" الحـــى لامعـــا مضيئـــا فـــى مجيئـــك ورواحك ... أنت جعلت ملايين الصور من نفسك وحدهـــا ســـواء كـــانت مدنـــا أو بلادا أو حقولا أو طريقا أو نهرا فإن كل عيـــن تـــراك فوقـــها مشـــرقا لأنـــك "آتون" شمس النهار علـــى الأرض.

"أيها الإله الأوحد الـــذى لا شـــبيه لـــه ...أنـــت الـــذى صنعـــت الدنيـــا بيديـــك وخلقت الناس كما شئت إن تصورهـــم فـــهم يحيـــون عندمـــا تشـــرق ويموتـــون عندما تغـــوب.

إنك أنت الحياة بعينها ويعيش الإنسان فقـــط إذا أردت تتعلـــق العيـــون بالجمـــال حتى تغيب ويترك الناس أعمالهم عندمـــا تغـــرب فـــى الغـــرب ولكـــن عندمـــا تشرق ثانية يزدهر كل شئ لأجل وجـــودك لأنـــك أنـــت الـــذى خلقـــت الأرض وأنت الذى خلقت جميع البشـــر.

وهكذا سعى "**إخناتـــون**" لإثبات قدرة الخالق علــــى التدبــير والرعايــة والخلــق والعناية بجميع المخلوقات وأن كل شئ فى الوجـــود يحتــاج إليــه لكــى يوجــد ويستمر ويحيا ، وهو يكرر هذه المعــــانى فــى أدعيتــه **فيقــول** : "أيــها الإلــه الأوحد الذى لا شريك له .. مـــا أجمــل تدبــيرك رب الخلــود ... "آتــون" يــا ضوء النهار .. يا عظيم المجد يا أصــل الحيـــاة .. بلدانــا نائيــة تهبــها الحيــاة إنك ترسل الغيث والأرزاق من أجلها على كل البـــلاد يــأتى خــيرك .. مصــر العظيمة والشام (**خـــارو**) والسودان (**كاش**) ... أيــــها الإلــه الأوحــد الــذى لا شبيه له ..خلقت الجميع على اختــلاف ألســـنتهم وألوانـــهم ومواطنـــهم وتكفلــت بأرزاقهم ما أعظم أعمالك التى عملتها .. إنـــها خافيــة علـــى النـــاس ... أنــت فى قلبى وليس هنـــاك مـــن يعرفــك غـــير ابنـــك "**تفرخـــير ورع**" (**واع ابـــرع**) لأنك أنت الذى خلقته عالما بمقصدك ومدركـــا لقوتــك[1].

(٤) الدليـل الكونـــى

وهو عند "**إخناتـــون**" يعنى أن الإله الواحـــد خـــالق الجميـــع والرحيـــم بـــالكون كله ، والذى لا يفرق بين فرد وآخر وبلـــد وآخـــر لابـــد أن يكـــون هـــو الإلـــه الواحــد.

والإله الواحد هو الذى يجـــب أن يتوجـــه الكـــون كلـــه لـــه بالتســـبيح والعبـــادة فالكون كله لا يخضع إلا للواحد القادر على الإبـــداع والخلـــق والإحيـــاء.

---

(١) **يمكن مراجعة هذه الأدعية فى كل من :**

١. د. عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم حـــ١ ص٣٦٣ - ٣٦٤.
٢. د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية ص٣٣٤-٣٢٩.
٣. د. علاء حمروش : تاريخ الفلسفة الشرقية ص٢٣.
٤. فتحى العقيل : إخناتون الفرعونى ص٣٣.
٥. نجيب ميخائيل : مصر والشرق الأدنى القديم حـــ١ ص١٠٣ - ١٠٤.

ومن ثم كانت دعوة "**إخناتون**" موجهة للإنسانية كلها ولم تقتصر على المصريين وحدهم ، وبالفعل شملت دعوة "**إخناتون**" كل البلاد وكان دعاؤه دليلا على ذلك حين يقول : أيها الإله الأوحد الذى لا شبيه له ... أنت خالق الجميع ، البشر والأنعام وكل ما يسعى على الأرض بقدم أو يطير فى الفضاء بجناح أنت خالق جميع البلدان والشعوب مثل سوريا والسودان ومصر ، تجليك فى أفق السماء بديع .. يا "**آتون**" الحى يا أصل الحياة .

أنت البهى وأنت الجليل وأنت المنير وأنت العلى فوق كل الأرض كلما غاب نور كوكبك أظلم الكون وأصبح كالموات وهجع الخلق وخيف النهب وأستشرى الوحش ودبت الزواحف.

وكلما أشرقت بنورك تبدل الحال غير الحال بأشعتك تتبدد الظلمة ويكفل الآمن ويتيسر السعى.

لك وحدك يسبح كل مخلوق البشر والحيوان والطير والنبات كل منهم بطريقته وتسبيحه..

والدليل الكونى يظهر واضحا عند تأكيد "**إخناتون**" على صفة الحياة للإله الواحد فالإله الواحد هو الحى الذى يهب الحياة لجميع المخلوقات وأن الإله يتجلى فى الكون كله لأنه هو الحياة نفسها وأنه مصدر الحياة فى الكون كله فى الطفل الجنين لأنه هو خالق الجنين وخالق النطفة التى ينمو منها الجنين وهو باعث الأنفاس الحية فى كل مخلوق ، وهو واهب الوجود والحياة ، وهو يعبر عن هذا **حين يقول** : "أيها الإله الأوحد الذى لا شبيه له". أنت الذى يعطى الحياة .. لأنك خالق الجرثومة فى المرأة وجعلت من هذه البذور أناسا وجعلت الولد يعيش فى بطن أمة مهدئا إياه حتى لا يبكى ومرضعا إياه حتى فى الرحم.

وأنت معطى النفس حتى تحفظ الحياة على كل إنسان خلقته حينما ينزل من الرحم فى يوم ولادته وأنت تفتح فمه وتمنحه ضروريات الحياة.. أنت

الذى يعطى الحياة لكل البلاد الأجنبية البعيـدة لأنـك خلقـت نيـلا فـى السـماء لينزل لأجلهم .. ويحدث أمواجـا فـوق الجبـال مثـل أمـواج البحـر لـتروى حقولهم التى فى قراهم .. "ما أجمل أعمـالك يـا رب الأبديـة... عندمـا تغـذى أشعتك كل مرج .. وعندما تشرق تحيا وتنمو لأجلـك وجعلـت فصـول السـنة لتغذى بها كل ما خلقت فالشـتاء يـبرد أجسـامهم والحـرارة تجعلـهم يحسـون بك . لقد خلقت السماء البعيدة لتشرق منها وحتى ترعـى كـل مـا صنعـت .. وذلك عندما كنت بعيدا تشرق فى صورتـك "كآتـون" الحـى لامعـا مضيئـا فى جيئتك ورواحك .. جعلت ملايين الصور من نفسـك وحدهـا سـواء كـانت مدنا أو بلدانا أم حقولا أو أنهارا فـإن كـل عيـن تـراك فوقـها مشـرقا لأنـك "آتون" شمس النهار علـى الأرض.

أنت الذى صنعت الدنيا بيديك وخلقـت النـاس كمـا شـئت أن تصورهـم فـهم يحيون عندما تشرق ويموتون عندما تغرب لأنـك أنـت الحيـاة بعينـها. أنـت الذى تجعل كل شخص يحصل على طعامه وسـنوات حياتـه مقـدرة لـه أنـت الذى تجعل الناس يختلفون فى لغاتهم كما يختلفـون أيضـا فـى طباعـهم لأنـك أنت الذى خلقتهم لأجل نفسك وأنت سـيدهم جمعيـا ... سـيدهم الـذى يشـغل نفسه من أجلهم سيد كل الأرض الذى يشـرق لأجلـهم فـأنت "آتـون" شـمس النهار عظيم البـهاء[1].

خامسا : أدلة نبوة إخناتـون :

كانت نبـوة "إخناتـون" مـن مسـائل الجـدل بيـن رجـال التـاريخ والديـن فمنهم من يؤكد نبوته وأنه كان أول نبى جـاء بـه التـاريخ والآخـرون ينكـرون ذلـك

---

(1) El, Griffith; The Jubile of AKHENATON, 1918, P. 61-63.

Sayed Tawfik : Aton Studies, P. 167.

ويعدونه واحد مـــن المصلحيـــن أو الحكـــام الصـــالحين أهتـــم بتصحيـــح أمـــور الديـــن والمجتمع فقــط

ويرى أصحاب الرأى الأول أن "**إخنـــاتون**" قـــد أدى دوره كنبـــى مرســـل حيـــن حصر دعوته فى التوحيد الخالص نظريا وعمليا : نظريـــا فـــى فـــهم وتســـجيل التعـــاليم وعمليا فى الالتزام بها ونشرها حتى إنه جعـــل التوحيـــد الخـــالص شـــعار دولتـــه ودعـــا جموع الشعب إلى التعبد بتعاليمه. واستدلوا علـــى أنـــه مـــن كبـــار الموحديـــن بدعوتـــه وسلوكه وشخصيته.... وأنه دعا بدعوة الأنبياء وهـــى وحدانيـــة الإلـــه لأن دعـــوة جميـــع الرسل والأنبياء واحدة وهى **[اعبـــدوا الله الواحـــد الأحـــد .. اعبـــدوا الله ولا تشـــركوا به شـــيئا]**.

- كما استدلوا على نبوته بصفاته الشـــخصية والالـــتزام بحســـن الخلـــق والطاعـــة وصدقه فى دعوته والتزامه بالتعاليم ، وأن ســـلوكه لـــم ينـــاقض جوهـــر دعوتـــه وما قدمه من التعاليم وأذكار تمجد وحدانية الإلـــه وتنزهـــه عـــن الشـــبيه والمثـــل والتعـــدد.
- كما استشهدوا على نبوتـــه بمواقفـــه الشـــجاعة وحســـن تبليغـــه للرســـالة وعـــدم مهادنته للمعارضين للتوحيد وكان يمثلـــهم فـــى عصـــره بعـــض كبـــار الكهنـــة الداعين للوثنيـــة والتعـــدد والذيـــن كـــانوا يصفـــون الآلهـــة بصفـــات البشـــرية وينسبون لهم الأزواج والأبناء ويفترضوا لهم حياة دنيويـــة بشـــرية إلـــى جـــانب حياة الخلود والأبديـــة ،

كما استدلوا بمظاهر دعوته وهجرته من طيبة بلدته إلـــى مدينـــة أخـــرى أقامـــها "**إخناتـــون**" خصيصا لنشـــر الدعـــوة ســـماها (**إختـــاتون**) أى أفـــق "**آتـــــون**" الإله ، ووصفها بأرض الطهارة التـــى لـــم يدنســـها شـــرك ... وأن هـــذا شـــبيه بموقف جميع الأنبياء حيـــث كـــانت الـــهجرة وســـيلتهم للحفـــاظ علـــى الدعـــوة ونشـــوها.

- كما استدلوا على نبوته بجوهـــر دعوتــه وصـــدق آرائــه واتســامها بالعموميــة والشمول وإنـــها دعــوة إنســانية عامــة صالحــة لكــل زمــان ومكــان ، وإن إخناتون لم يوجه دعوته لشعب بعينه أو بلـــد دون آخــر.

- كما استدلوا على نبوته بصريح أقواله حين صـــرح "**إخناتـــون**" بأنــه الرســول المصطفى من قبل الإله الواحد ليكـــون خليفتــه والمبلــغ لدعوتــه وإنــه اختــار بعض الحكماء والأعوان ليعلمهم ما علمـــه الإلـــه إيـــاه مـــن أذكــار وصلــوات وحكم فى وصف الإله الواحد وحقيقتـــه.

- ورغم العديد من الأدلة والشـــواهد علـــى نبـــوة "**إخنـــاتون**" لـــم تتوفـــر القناعــة أو الشجاعة لدى بعض الباحثين للاعـــتراف بنبوتــه رغـــم اعترافاتـــهم بمكانتــه ودوره. ومـــن هـــؤلاء هـــيرودوت وجـــاردنر وجـــورج ســـاراتون وســـــيرج سوتيرون ، وفرنسوا دوماس وغيرهم فى حين اعـــترف آخـــرون فـــى شـــجاعة بأن دعوة "**إخناتـــون**" التوحيدية مـــا كـــانت إلا وحيـــا علـــى نبـــى أو رســـول استجابة لقول الحق سبحانه وتعالى : ﴿وإن من أمة إلا خـــلا فيـــها نذيـــر﴾[1]

وهذا ما ذهب إليه الدكتور صلاح الفـــوال الـــذى عقـــد العديـــد مـــن المقارنـــات بين أذكار "**إخناتـــون**" وما جاء فى القرآن الكريم مـــن صفـــات إلهيــه وحقـــائق كونيــة تتوافق إلى حد كبير مع ما كان يردده "**إخناتــــون**" فـــى تعاليمـــه[2].

---

[1] فاطر : (٢٤).

[2] التصوير القرآنى للمجتمع : د. صلاح مصطفى الفوال - دار الفكر العربى - القاهرة ١٩٨٥ م. وبــه مقارنة بين دعوة إخناتون وما جاء بالقرآن الكريم.

- راجع كذلك مؤلف د. صلاح الفوال : علم الاجتماع فى عالم متغير دار الفكـــر العربـــى ط ١٩٦٦ : ص٤٨ .
- راجع كذلك : قصص الأنبياء : عبد الوهاب النجار- مكتبة دار التراث - ط ١٩٨٥م.
- راجع أيضا : إثبات الرسالة وصفات الرسل : د. عبـــد الحميـــد درويـــش حـــول صفـــات الرســـل الواجبة : ص ٩٧-١٠٨.

وتلك أدلة إثبات نبوة "إخناتون":

١. الدليل الشخصى :

ويتمثل فى مجموع صفات "إخناتون" الشخصية المميزة له كالصبر والصدق والتواضع والفطنة والإخلاص فى الدعوة وهى صفات تؤهله للنبوة وتحمل المسئولية بوصفها صفات واجبة للأنبياء والرسل..

وكانت فطنة "إخناتون" فى مقدمة هذه الصفات حيث ظهرت فطنته ابتداء منذ اختياره لأسمائه والتدرج فى دعوته وإدراكه مدى تعمق الإيمان بالإله العظيم الواحد فى وجدان الشعب المصرى ، فاختار اسما معبرا عن هذا الاعتقاد ويرتبط بعقيدة الشمس المترسبة فى وجدانهم بوصفها رمزا للقوة والحياة والخلود ، فأطلق على نفسه لقب " تفروخبرورع" واع إن رع : أى وحيد رع صاحب الأشكال الجميلة ، كما قبل لقب الكاهن الأكبر "لرع حار آختى" المبتهج فى الأفق (أى النور – شو الموجود فى آتون) وفى بداية الدعوة أيضا ظهرت فطنته عندما نجح فى وقف نشاط الكهان ودفعهم لمراجعة مواقفهم دون مواجهة أو عنف ، فجامل فى البداية بعض الكهنة من أنصار آمون وأعلن أن دعوته توحد بين آمون وآتون (لأن آتون هو الإله الواحد الذى يجمع بين آمون ورع) ولتأكيد ذلك قام بتشييد المعابد لأتون فى رحاب الكرنك معقل عبادة آمون . وظهرت فطنته فى منهجه وحسن اختياره لاسم الإله والرمز المعبر عنه ، ولم يفاجئ الناس بالتغيير دفعة واحدة بل كان التدرج والمواعظ الحسنة والإقناع أسس منهجه حتى إنه لم يعلن دعوته مرة واحدة ولا بمجرد توليه عرش مصر وصرح فى بداية الدعوة إنه لم يطلب من الشعب سوى العودة إلى معبود الفطرة القديم الذى كان الأباء والأجداد من الموحدين يتوجهون له بالعبادة إنه "رع حر آختى" ، إنه آتون الذى يرمز إليه بآية النور المعجزة المستحبة فى كوكبه.

ويلاحظ أن صفة الصبر كانت من أبرز صفاته فى مواقف عديدة منها :

- كثرة تعبده لإظهار طاعته وشكره للإله ، فكان الصبر هو الرابطة بين الطاعة والشكر وما يشعر به الفرد من سعادة نتيجة لصبره وقد عبر "**إخناتون**" عن ذلك حين قال : "إن من أحبه الإله وجبت عليه طاعته ، وإن الإله لا يعرف أهل السوء ، وإذا جاءتكم السعادة حق عليكم شكر الإله.
- **حسن تعامله وصبره مع الكهان من أعدائه** ، فكان كريما معهم رغم عدائهم له ، وكان يجزل لهم العطايا اتقاء لشرهم ، وقد وصفهم فى إحدى لوحاته بقوله : "أقسم بحياة أبى آتون أن الكهنة كانوا أشد إثما من كل الأشياء التى سمعتها حتى العام الرابع وأشد ضراوة من الأشياء التى وقعت حتى العام السادس. فى إشارة لموقف الكهان المعارض لدعوته ومؤامراتهم العديدة ضده فكان الصبر والتحمل والكرم والعطاء للأعداء قبل الأصدقاء هو السبيل إلى قلوب أتباعه وحتى من رفضوا دعوته.
- قبوله الألقاب الملكية المعتادة رغم ما فيها من وثنية وتعدد ومن أشهرها :

الفحل القوى ، الصقر الذهبى ، صاحب التيجان الملكية ، ملك مصر العليا والسفلى ، المحبوب من الآلهة ، ابن رع أمنحوتب ، المحبوب من آمون رع ، الحاكم المقدس فى طيبة .

وظل "**إخناتون**" على صبره فى تحمل هذه الألقاب حتى العام السادس من حكمه حوالى ١٣٦١ ق.م حين جهر بدعوته وأعلن تعاليمه ، وضرورة توحيد الإله وعبادته ، وفى نفس الوقت أعلن التخلى عن هذه الألقاب وكل ما يوحى بالتعدد والوثنية وفى مقدمة هذه الألقاب اسمه الملكى نفسه (**أمنحوتب الرابع**) وتلقب فقط بالاسم الدينى الجديد "**إخناتون**"... (المخلص لأتون) وعلى أثر ذلك بدأ "**إخناتون**"

في محو مظاهر التعـــدد فـــى أســـماء الآلهـــة وحـــرم التعبـــد لغـــير الإلـــه الواحد. وأصدر أوامره بإغلاق معابد الآلهة الأخـــرى فـــى مختلـــف المـــدن وسائر أنحاء الإمبراطورية المصرية ، كما أمر بإزالـــة كافـــة آثـــار التعـــدد والكهنوت من معابد وأسماء ومحـــو كلمـــة آلهـــة حيثمـــا وجـــدت منقوشـــة بصيغة الجمع لان الإله واحد واسم واحـــد لا يجمـــع[1].

- وكانت صفاته من صدق وإخلاص وتواضـــع وعـــدل إلـــى جـــانب صـــبره وفطنته دافعا ودليلا على علو شأنه والتصديـــق بنبوتـــه.

فكان "**إخناتـــون**" حريصـــا علـــى تطبيـــق مبـــادئ العـــدل والحـــق – وقـــد سجلت إحدى لوحاته تلك الصفات جاء فيها : يعيـــش حـــور الذهبـــى الـــذى يحمل اسم آتون ملك مصر العليـــا والســـفلى إبـــن رع الـــذى يعيـــش علـــى الصـــدق[2].

- كما كانت صفة التواضع من أبرز صفاته التى تؤكـــد نبوتـــه وبشـــريته ..

فكان "**إخناتـــون**" شديد التواضع وحرص على إظـــهار ذلـــك لكـــى ينفـــى عـــن نفسه أى شبهة تقديس أو تعظيم وليؤكد بشرية الملـــك الـــذى يجـــرى عليـــه كـــل أحوال البشر من حزن وقلق وفرح وغضـــب وســـعادة ومـــن أجـــل ذلـــك أمـــر "**إخناتـــون**" الفنانين والرســـامين أن يصـــوروه فـــى مختلـــف أحوالـــه وأثنـــاء ممارسته لأمور حياته اليومية ومع أســـرته أثنـــاء فرحـــهم وحزنـــهم أو جدهـــم وعبثهم كل هذا حتى لا يؤلهه الرعية وليصدقوا نبوتـــه ويؤمنـــوا بدعوتـــه وقـــد صورت العديد من اللوحات مدى تواضع وخشـــوع "**إخناتـــون**" فـــى لحظـــات تعبده وأثناء صلاته ووضوئـــه وركوعـــه.

---

[1] د. عبد العزيز صالح الشرق الأدنى القديم ج1 ص ١٩٧-٢٩٨ ، ص ١٢٧،٣٩.

[2] فتحى العقيل إخناتون الفرعونى ص ١١ ،٢٤،٢٢،١٣.

وهكذا كانت أخلاقه وحسن صفاته متوافقة مع جوهـــر دعوتـــه الداعيـــة لحســـن الخلق والتواضع والصبر والصـــدق والتوحيـــد[1].

٢. الدليـــل التـــاريخي :

ويتمثل في الإجمـــاع علـــى أن دعـــوة "**إخنـــاتون**" هـــي أول محاولـــة عمليـــة للاتجاه نحو التوحيد الخالص من كـــل تعـــدد أو شـــرك وأنـــها كـــانت الســـبيل للتخلص من عبادة التعـــدد والوثنيـــة وبعـــض الخرافـــات التـــي كـــان يدعمـــها بعض الكهنة ورجال الدين .. وأن ذلك متوافق مـــع مـــا جـــاءت بـــه الرســـالات السماوية وبالتالي يمكن القول بنبوءة "**إخنـاتـــــون**" وأثبـــت المـــؤرخ الأمـــيركي برستيد الأثر الكبير لأذكار إخناتون علـــى معتقـــدات اليـــهود ، وأثبـــت التشـــابه الكبير بين المزمور ١٠٤ وبيـــن أدعيـــة "**إخناتـــون**" .. كدليـــل علـــى أن مـــا جاء به وحي من السماء وليس من عنـــده واســـتدل المؤرخـــون علـــى نبوءتـــه بعمومية رسالته واســـتمرارها.

فقد انتشرت أدعية "**إخناتـــون**" داخل مصـــر وخارجـــها وأن بـــلادا كثـــيرة فـــي أسيا وإفريقيا قد عرفت توحيـــد إخنـــاتون وآمنـــت بـــه وأن العـــبرانيين كـــانوا أكثر وأقرب الشعوب تأثرا بدعوته وهـــذا مـــا ظـــهر بوضـــوح فـــي التـــوراة . كما استدلوا بتصريحات "**إخناتـــون**" بأن آتون ليـــس إلـــها أجنبيـــا عـــن مصـــر وأن متون الأهرام ولوحات المعابد قبل "**إخناتـــــون**" بـــألف عـــام أو يزيـــد قـــد أكدت أن آمون ورع وحور آختي هـــي أســـماء للإلـــه الواحـــد الأعظـــم الـــذي يجب أن يتوجه إليه الجميع للعبادة وأن إخناتون قـــد صـــرح علانيـــة بـــأن لفـــظ آتون الذي يعني الإله الواحد الحي هو اسم قديـــم معـــروف فـــي عصـــر الدولـــة القديمة الوسيطة وكان يطلق على الشمس بوصفـــها رمـــز للإلـــه المتحكـــم فـــي الكون والحياة والبقاء ، لأن الشمس فـــــي حركتـــها واســـتمرارها رمـــز للحيـــاة والوجود والدفـــء ، ودليل قـــوة الإلـــه ووحدانيتـــه ، كمـــا إنـــها رمـــز للجـــلال

---

[1] راجع ألقاب إخناتون في لوحة الحدود . - د. احمد فخري : مصر الفرعونية ص ٣٢٣-٣٤٦.

والعظمة والنور ، وعلى ذلك كانت الشمس آية كبرى دالة على الوجود الإلهى الباقى فكان هذا دليلا على معرفة المصريين قبل "إخناتون" بالأديان والتوحيد وأنهم كانوا يتعبدون للإله الذى خلق هذه الشمس ولم يعبدوا هذه الشمس ، وأن دعوة إخناتون لا تتعارض مع دعوة الأنبياء السابقين عليه .

٣. الدليل العقلى :

ويتمثل فى اعتماد "**إخناتون**" على المنطق والحكمة والمشاهدة الحسية فى إقناع الرعية بدعوته ، فعمد إلى الوصف الدقيق لحقائق الخلق البشرى ومراحل تكوين الجنين وإثبات وحده .. الكون تمهيدا لإثبات قدرة الإله ووحدانيته فهو ينسب الوجود ومراحل الخلق للخالق القادر فيقول : أيها الخالق لبذرة الحياة فى النساء إنك أنت الذى يجعل من البذرة السائلة إنسانا إنك أنت الذى يعتنى بالطفل فى بطن أمه وأنت الذى يهدئه بما يوقف بكاؤه فانك أنت الذى تعنى به وهو فى الرحم وأنت الذى تعنى به وهو فى الرحم وأنت الذى يعطى النفس ليحفظ الحياة لكل مخلوق ، وعندما ينزل الطفل من بطن أمه ليتنفس فى اليوم الذى يولد فيه ، فأنت الذى تفتح فمه وتمده بكل ما يحتاج إليه وعندما يصرخ الكتكوت فى داخل البيضة فأنت الذى يمده بالنفس فى داخلها ليعيش وعندما تتم خلقه داخل البيضة تجعله يكسرها فيخرج من البيضة وهو يصوصو إذا ما كان موعد وجوده وحياته .. ويقول أيضا فى وصف الخالق وقدرته أيها الإله الخالق أنت صنعت الدنيا بيديك وخلقت الناس كما شئت أن تصورها .. أنت الحياة بعينها ويعيش الإنسان بإرادتك لأنك أنت الذى يعطى الحياة .. ولم يعتمد "**إخناتون**" فقط على الوصف والتحليل بل لجأ إلى الإقناع بالدليل لإثبات أهمية وفائدة الإيمان والتوحيد والإخلاص فى العبادة والتزام حسن الخلق ومن اجل ذلك لجأ "**إخناتون**" إلى تفسير التعاليم والأذكار التى يجب أن يتعبد القوم بها فكان يحرص على تفسيرها لأتباعه الذين أمنوا بدعوته.

كما حرص على بيان أهمية التزام الحق والعدل لان الحق والعدل فى حقيقته أساس التوحيد والعبادة فالعدل "ماعت" هو أصل الحقيقة وأن وجوب تسمية الأشياء بمسمياتها من العدل والصدق وأن العدل يوجب على البشر أن ينزهوا الإله عن الجسمية والبشرية لأن الجمادات والأجسام تضعف وتتحول ولا تدل على القدرة.

وبالتالى فإنه الحى الذى يعطى الحياة ، والقادر الذى لا يضعف والذى يظهر أمامنا فى رمزه وآيته فى قرص الشمس الذى يعطى الدفء والحياة لجميع الكائنات وكل البشر فلم لا يتوجه الجميع لعبادته وحده.

ويظهر التزام "إخناتون" بالمنطق العقلى حين رفض الفكر الخرافى والاعتقاد بقوة السحر فى الإماتة والإحياء وتحقيق الخلود والنجاة فى الآخرة.

كما رفض التسليم بقوة الطبيعة الخارقة وتدخل الحيوان وعالم الخيال فى إرادات البشر .. فأكد إخناتون أن الاعتقاد فى قوى الطبيعة والسحر خرافة وان الإله وحده هو الذى يملك القدرة والإرادة والتأثير على جميع المخلوقات .. وأكد أيضا أن الاعتقاد فى التعدد يؤدى إلى اختلاف البشر لأن الاعتقاد سيكون للأقوى من الآلهة وبالتالى لابد أن تختلف الآلهة كما تختلف البشر .. ولذا يجب على البشر أن يتعبدوا لقوة واحدة مؤثرة فى الكون والإنسانية وإنها القوة التى تساعد على قضاء الحاجات وتوفير أسباب الرزق والحياة وتحقق الأمن النفسى والاجتماعى لجميع الكائنات.

وقد أشار جيمس هندرى برستيد فى كتابه فجر الضمير إلى عقلانية "إخناتون" حين وصفه بأنه أول مفكر مثالى وأول داعية من غير الأنبياء المعروفين وأنه أول شخصية مستقلة ظهرت فى التاريخ وأنه أحرز هذه المكانة السامية بنفاذ بصيرته وحسن تدبيره وتفكيره العقلى.

ودليل ذلك حسب قول برستيد إنه لم يلجأ فى تأكيد فكره أو توطيد حكمه ومذهبه إلى وسيلة من وسائل الأساطير ولا إلى شىء من العادات القديمة

بل اعتمد فقط على البراهين العقلية والمنطقية الظاهرة والدالة فى نفسها على سلطان الإله وعظمته ووحدانيته[1].

٤. **دليل الوحى والاصطفاء:**

ويتمثل فى إعلان "**إخناتون**" بأنه النبى المصطفى الموحى إليه والمكلف بالرسالة والدعوى إلى عبادة الإله الواحد الذى لا شريك له ولا شبيه له .. وقد صرح "**إخناتون**" كثيرا بأنه وحده هو ابن آتون أى خليفة الإله الواحد ، وإنه ابن الشمس المكلف بعبادته والداعى إليه ، وأن الناس تتعرف على آتون (الإله الواحد) من خلال ابنه ورسوله "**إخناتون**".

ويمكن الاستدلال على نبوءة "**إخناتون**" وأنه صاحب دعوة ورسالة من خلال ما ردده إنه مكلف من قبل الإله لتنظيم المعاملات بين البشر وأن تلك مسئوليته بوصفه الواسطة أى الرسول بين الإله والبشر.

وقد سجلت لوحات عديدة فى الكرنك وإخيتاتون حوارات بين "**إخناتون**" وأتباعه من المؤمنين بدعوته .. فى إحداها : اعتراف من "**إخناتون**" بأنه حوارى المعتقد الجديد وتصريح أحد اتباعه بأن "**إخناتون**" صاحب مذهب ورسالة جاءت من قبل الإله.

يقول أحد أتباعه : ما أكثر من يستمع إليك وإلى مذهبك فى الحياة وما أكثر من يملأ ناظريه بمشاهدتك ولا تتوقف عينيه عن النظر لآتون كل يوم. ويرد "**إخناتون**" **بقوله** : أنت خادمى العظيم الذى يستمتع بمذهبى وأن كل عمل تؤديه يرضى قلبى عنه ، وأنا أمنحك هذه الوظيفة حتى تستطيع أن تأكل من أطعمة فرعون السيد فى بيت آتون.

---

(١) جيمس هندرى برستيد : فجر الضمير(الترجمة العربية) ط القاهرة ١٩٥٦.
جيمس هندرى برستيد : تطور الفكر والدين(الترجمة العربية) ط القاهرة ١٩٥٦.

وفى مقبرة الوزير موسى تسجيل لحوار بينه وبين "إخناتون" حين صرح بنبوته إليه .. يقول "إخناتون" لوزيره : كلمات رع ألقيتها عليك ، إن الإله قد علمنى إياها وكشف لى عن خباياها ، هذه الكلمات الذى عرفها قلبى. وانشرح لها صدرى .. فيرد الوزير على إخناتون : إنك الوحيد الذى أختاره "آتون" (الإله الواحد) لكى يلقى إليه تعاليمه والخوف منك والاحترام لك يملأ القلوب والجبال تستمع إليك كما يستمع الناس[1].

وكانت هذه الحوارات وأمثالها وراء تسمية "إخناتون" بالملك الفيلسوف أو "إخناتون" الرسول .

٥. دليل الدعوة :

ويتمثل فى أن الأنبياء لا يدعون لأنفسهم ولا يدعون بدعوة خاصة ولكنهم يدعون لعبادة الإله ويتوجهون بدعوتهم إلى جموع البشر ، وهذا ما فعله "إخناتون" عندما صرح بضرورة أن تكون العبادة للإله الواحد الذى يرمز له بآتون وكانت دعوته عامة للبشر لان الإله واحد والإنسان فى كل مكان واحد. وأكد إخناتون أن آتون هو إله جميع الكائنات ، الإنسان والحيوان والطير والجماد ، فهو خالق الجميع وراعيهم حتى الأسماك التى تعيش فى البحار والوحوش فى الأدغال والزواحف فى أحجارها والنباتات فى حقولها كلها تعبد الإله وتسبحه وأكد "إخناتون" أيضا أن عبادة آتون مكفولة للجميع لأن كل شخص له حق الاستمتاع بالحياة والدفء والوجود وممارسة شعائره ويجب أن تكون الدعوة للعبادة على العموم وألا تتضمن شرا أو حقدا بل يجب أن تكون خيرا وعلما وحبا وإخاء بين الناس .

---

(١) د. أحمد فخرى ، مصر الفرعونية ٣٢٣ ، ٣٢٦ ، ٣٤٦.
د. أحمد فخرى ، فى موكب الشمس حـ ٢ ، ص ٥٦١ – ٥٦٢.
محمد عبد اللطيف ، أمون فى الدولة الحديثة ص ٧٩ ، ٢٩٦ – ٢٩٧.
د. عبد العزيز صالح ، الشرق الأدنى القديم حـ ١ ط ١٩٨٤ ، ص ٣١٠ ، ٣١١ ، ٣٣٤.

وأكد كذلك على وجوب كراهية الشرور والأثام وفى مقدمتها التخريـــب والســرقة والقتل ، كما يجب التزام الصدق والعدل والأمانة والبعد عن الكذب والخيانة فدعـوة "إخناتـــون" لعبادة الإله الواحد والتزام محاسن الأخلاق وإخلاص العبادة تدل علـــى إنه لم يدع إلا بدعوة من سبقه من الأنبياء والرسل.

وجاءت تصريحات "إخناتــون" معبرة عن هذه المعـــانى حيــن يقــول :

- **أن آتـــون ما هو إلا رع حـــار آختـــى الـــذى يتـــهلل فـــى أفقـــه باعتبـــاره النور الذى فى الكوكب آتـــون .**
- **أن آتون هو معبود الفطرة القديم وإنه معبود أهـــل مصـــر الأوليـــن ، وإنـــه هو نفسه الإله الواحد الذى كان يؤمن به أجداده وآبائـــه مـــن الموحديـــن.**
- **أن آتون هو نفسه رع خار آختى الذى رغـــب النـــاس فـــى تســـميته باســـم الوالـــد.**
- **أن آتون الحى هو بداية الحيـــاة.**
- **أن الناس يرفعون أذرعتهم ابتهالا لواهب الحياة لأنـــه الإلـــه الأوحـــد الـــذى لا شبيه له ويقولون : أيها الإله مـــا أعظـــم الأعمـــال التـــى عملتـــها إنـــها خافية على الناس. أيها الإله لقد خلقـــت الدنيـــا كمـــا شـــئت عندمـــا كنـــت وحدك.**
- **أيها الإله إنك تضـــع كـــل شـــىء فـــى مكانـــه وأنـــت الـــذى تمدهـــم بمـــا يحتاجونه ليحصل كل كائن على طعامه وسنوات حياتـــه مقـــدرة لـــه.**
- **إنك أنت الذى يميز أهل الأمم الأجنبية وأنت الـــذى خلقـــت نيـــلا فـــى ذلـــك العالم الآخر وأنت الذى يأتى به عندمـــا يشـــاء لتبقـــى علـــى النـــاس وذلـــك**

لأنك أنت الذى خلقتهم لأجل نفسك وأنت سيدهم جميعا ، سيدهم الذى يشغل نفسهم من أجلهم[1].

- وقد بذل "إخناتون" جهدا كبيرا فى نشر الدعوة وقام بتوفير أماكن العبادة وممارسة الشعائر ، فأمر بتشييد العديد من المعابد فى رحاب الكرنك وفى طيبة : مثل معبد آتون الخاص بأمنحوتب الرابع ، ومعبد آتون الخاص بنفرتيتي ، ومعبد آثر آتون القوى إلى الأبد ، ومعبد آثر آتون المميز للأبد ، وقيل أن "إخناتون" كان متفرغا للدعوة والعبادة وإنه كان يقوم بأداء الطقوس الدينية فى معبده الخاص آثر آتون المميز إلى الأبد.
- وكانت الطقوس التى يؤديها الملك فى هذا المعبد تسمى رفع القرابين ولم يكتف "إخناتون" بالدعوة داخل مصر بل حرص على نشرها خارجها ، فأقام ثلاثة مراكز للدعوة الآتونية فى مختلف أنحاء الإمبراطورية المصرية فى منف والنوبة وفلسطين ، بيت شمس .

وبعد هذه الأدلة يبقى السؤال : ما هى معجزة "إخناتون" إذا كان من الأنبياء ؟

ولماذا لم يطالبه الرعية بمعجزة ؟ أم أنهم أمنوا بدعوته وصدقوه مكتفيين بما سمعوا ورأوا منه ؟

---

[1] د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، ص ٣٢٤ – ٣٢٩.

الخاتمـــة

بسم الله والحمـــد لله ، والصـــلاة والســـلام علـــى رســـول الله صلـــى الله عليـــه وسلم والحمد لله الذى أرسل الرســـل بـــأفضل القيـــم وأحســـن المثـــل ، ووهبنـــا الحكـــم وعلمنا ما لم نكن نعلـــم ..

من نعـــم الله علينـــا أن اهتدينـــا بنـــور العلـــوم والمعـــارف ، وســـلكنا طريـــق الحكمة والدين ، واهتدينا بنور العقـــل واليقيـــن.

ومن ثم وجب علينا التذكـــير بالمنـــهج والمصـــير وجـــهاد الإنســـان المصـــرى الأصيل ، الذى رفض الجمود والتخلف والجـــهل وتمســـك بالحكمـــة والعقـــل ، وحـــافظ على الجسم والنفس واعتقـــد فـــى الخلـــود والبعـــث وآمـــن بالإلـــه الواحـــد والضمـــير الحى.

ورغم الاعتراف بأن الحضارة المصريـــة لـــم تكتشـــف بعـــد وأن مـــا يعـــرف عنها هو القليل فإن القليل هـــو الـــذى يمـــلأ الدنيـــا الآن ويثـــير الفكـــر ويدفـــع علمـــاء المصريات من كل مكان إلى مزيد من ا لبحـــث والكشـــف.

فما بالنا لو تـــم اكتشـــافها ومعرفـــة مختلـــف جوانبـــها مـــن علـــوم ومعـــارف وفنون وآداب ، ومعتقدات وعادات وآثار وأفكـــار لتغـــيرت حضـــارة العصـــر وأشـــرق وجه مصر والعالم بنور الحقيقـــة.

وقد أثبتـــت البحـــوث والدراســـات ومنـــها هـــذا البحـــث أن مصـــر مـــهد التفلســـف والحضارة وأهلها منبع الحكمـــة والتديـــن :

- لأن حكمتهم ارتبطت بالعقل المفكـــر الواعـــى بـــالوجود المتواصـــل عـــبر الزمـــان سواء ماضى أو حاضر أو مســـتقبل.
- لأن حكمتـــهم كـــان مصدرهـــا رســـالات الســـماء وحكـــم الأنبيـــاء ، وكـــانوا أول الموحدين وفى مقدمة الساعين وراء المعرفة وإدراك الحقـــائق وإتقـــان العلـــوم.

- لأن حكمتهم كانت هى العلم بأسرار الوجــود ، ومعرفــة كــل أمــر إلــهى مقــدس سواء قراءة أو كتابة ، سواء عمـــل أو عبـــادة.
- لأن حكمتهم كانت هى الالتزام بما ينبغى أن يكون مــــن أجــل تحقيــق الكمـــال فـــى مختلف العلوم والمعارف والفنـــون والصنـــائع.
- لأن حكمتهم كانت هـــى الوســيلة والغايـــة ، وســيلة تحقيــق الكمـــال وغايـــة كـــل مسئول وكاتب أو حكيم ، ليصبح الحكيـــم هـــو العـــارف بالدولـــة والنظـــام والحكـــم والقانون ، إنه العليـــم بكافـــة الأمـــور ، القـــائم بالقضـــاء وشـــئون المـــال والإدارة والتعليـم.
- لأن حكمتهم كانت فى التوسط والاعتـــدال والعقــل والكمـــال ، والطاعـــة والالـــتزام ، والخير والنظام .. فى العقل الواعى والضمـــير اليقـــظ.
- لأن حكمتهم هى الحقيقة ، وكانت الحقيقـــة هـــى الحـــق والصـــدق والعـــدل والبعـــد عن الشر والظلـــم والتطـــرف والعـــدوان .. كـــانت الحقيقـــة فـــى الالـــتزام الحـــر بالتعبير الصادق عن الآراء والخـــيرات والحكـــم.

  كانت الحقيقة فى كل ما يكسب الســـمعة الطيبـــة ويدفـــع للخـــير والاحـــترام ويلـــزم الحكام بالعدل والرعية بالتعاون وفعـــل الخـــير.
- لأن حكمتهم كانت تتسم بالكلية والعموم ، ومن ثـــم أصبـــح الفكـــر المصـــرى فكـــر شعبى عام لا يرجع إلى فـــرد أو جماعـــة مـــن الحكمـــاء بـــل يرجـــع إلـــى عمـــوم الشعب الذى آمن بالحكمة واعتقد فى الخلود ومـــارس الفـــن وأتقـــن البنـــاء ، فكـــان فكره كلياً يشمل كل جوانب العلـــم والحيـــاة ، لدرجـــة أن المعرفـــة بـــالنفس والعـــالم والله والمصـــير أضحـــت أجـــزاء فـــى منظومـــة المعرفـــة الكليـــة بهمـوم الحيـــاة فانتشرت العلوم والمعارف بين جموع الشـــعب حتـــى قيـــل إنـــه لا يوجـــد مصـــرى واحد فى العصر القديـــم جـــاهل بـــالقراءة والكتابـــة ، أو جـــاهل بتـــاريخ مجتمعـــه وأهم الأحداث التى مرت فى حياتـــه.
- كانت الحكمة عندهم فى وحدة الفكر والمعتقد التى تولـــد عنـــها أشـــكالاً أخـــرى مـــن الوحدة ، مثل وحدة اللغـــة والتـــاريخ والكتابـــة والمنـــهج والأداء والتعبـــير بـــالنقش

بالنقش والصورة عن المشاعر والأحداث ومظاهر الألفة والتعاون في إنجاز الأعمال ومواجهة الأخطار والفيضان وبناء القرى والمعابد والأهرام.

وقد ساهمت حكمتهم القائمة في وحدة الفكر في تعميق مشاعر الوحدة والانسجام حتى تحولت قضايا الفكر والسلوك إلى بداهات عقلية ومنطقية لا خلاف عليها ، ومن ثم لم يعارض حكيم مصرى حكيم آخر في قضية من القضايا وأصبحت مسائل البعث والحساب والخلود والألوهية والروح والضمير معتقدات راسخة يؤمن بها الجميع ولا يختلف حولها لأنها من قضايا الإيمان العام.

وقد دل على ذلك سلوك الملوك والأمراء وتعاليم الرسل والأنبياء ووصايا الكتاب والحكماء ونقوش المعابد والمقابر وما أكتشف فيها من برديات وكتب مثل كتاب الموتى ومتون الأهرام وكتابة الإنكارات.

- كانت الحكمة عندهم في الاعتماد على العقل والتجربة والتمسك بنظام الأسرة وتربية الأبناء على القيم والمثل وممارسة الشعائر واحترام أهل الخبرة وأهل المعرفة.
- فكان تأمل الظواهر ومتابعتها بدقة ومنهجية وراء تقدمهم في علوم الفلك والطب والهندسة وما يتطلبه ذلك من أدوات للرصد والتسجيل والبحث وحساب المسافات والمساحات والأرقام وعلم بحركة النجوم والكواكب كما يتطلب نضج عقلي واسع حتى سمي بعض الحكماء مثل أمحوتب بكبير المتطلعين إلى السماء أو كبير الرائيين وكان بعض الكهنة يتولى منصب رئيس الفلكيين.وفي علم الطب ظهرت مؤلفات في تشريح الجسم والأمراض التي تصيب كل عضو وكيفية علاجه مثل مؤلفات أمحوتب وبتاح حوتب ، كما ظهرت مؤلفات في أسرار الأعشاب الطبية وما تعالجه من أمراض مثل كتاب جر إثوبيس وكتاب سنموت المسمى بالتوليفات.
- كانت الحكمة عندهم هي النور الدائم الذي يستضاء به فيظهر الحقائق وينير الطريق أمام راغبي المعارف ، ومن ثم حرص الأدباء والحكماء والرعية

والحكـــام تلقيـــن أبنـــاءهم أصـــول المعـــارف والتجـــارب فـــى صـــورة مواعـــظ وإرشادات وحكـــم ...

والأمثلة على ذلك كثيرة منـــــها :

- نصائح الملك آختـــوى الرابـــع [واج كـــارع آختـــوى] وهـــو آخـــر ملـــوك الأســـرة العاشرة ٢١٣٣ – ٢٠٦٥ ق . م لابنــــه مريكـــارع.
- نصائح سنب حوتب أشـــهر حكمـــاء الدولـــة الوســـطى فـــى مصـــر القديمـــة التـــى استمرت مـــن ٢٢٨٠ حتـــى ١٥٠٠ ق . م .
- نصـــائح المصلـــح العجـــوز إيبـــوور فـــى أواخـــر عصـــــر الدولـــــة القديمـــــة حوالـــى ٢٣٠٠ ق . م.
- نصائح كتاب الحكمة ابتـــداء مـــن أمحوتـــب ٢٧٨٠ ق . م وحتـــى بتوزيـــرس فـــى عصر الأسرة الثلاثيـــن حوالـــى ٣٥٠ ق . م.
- **وكان محور هذه النصائح الدعوة لإعمـــال العقـــل لاكتســـاب الحكمـــة ، والحـــرص على فعل الخير من أجل الخلود والبقاء فـــى الآخـــرة.**
- **كما نبـــهت إلـــى ضـــرورة العمـــل ليـــوم الحســـاب لأن الإلـــه يعـــرف العـــاصى ويعاقبـــه.**

وأكدت أن مثال الحقيقة والعـــدل ليـــس بعيـــداً عنـــهم فـــهناك عـــالم الآلهـــة التـــى ترعاها مثل الإله تحـــوت إلـــه المعرفـــة والحكمـــة ، والإلـــه مـــاعت إلـــه الحـــق والصـــدق.

- **ومن ثم فإن الحكمة لا تقتصر على المعرفة بعالم الطبيعـــة بـــل لابـــد مـــن التعـــرف على عالم ما وراء الحـــس.**
- **كما أجمعت النصائح على أن التحلى بالحكمـــة أثمـــن مـــا فـــى الحيـــاة لأن التحلـــى بها يحقق السعادة والكمال والمكانة العالية فـــى الدنيـــا والآخـــرة.**

وهذا ما أكده الحكيم سنب حوتب حين قال : "**يا بنى تعلم كيف تحرك أصابعك القلم ، وكيف يحرك عقلك أصابعك ، فلا يخط قلمك إلا الحكمة والمعرفة وما ينفع الناس**".

وكذلك موعظة الحكيم آمون من التى دارت حول أهمية العمل بالحكمة والإخلاص لها وما تحققه من سعادة ، **فقال** :

يا بنى كن كاتباً حتى يريح عقلك إجهاد جسمك.

يا بنى كن كاتباً لتصبح سيد نفسك.

يا بنى كن كاتباً ينعم عليك الإله بحاسة جديدة مقدسة تضاف إلى حواسك الخمس ، حاسة تميزك عن الآخرين ، فترى مالا يراه الآخرون وتسمع مالا يسمعه الآخرون ، سترى وتسمع بعقلك وقلبك عالم ما وراء الطبيعة ، ستتمتع بشهوات عقلك ، وتسعد قلبك ومن كان قلبه سعيداً أسعد الآخرين.

وهكذا صور كتّاب الحكمة فى مصر القديمة طبيعة التفلسف المصرى الذى يتسم بالشمولية والعموم والتوسط والاعتدال والمنهجية والتواصل والاستمرار والوحدة والانسجام والتنوع والتجديد والابتكار .. وهى سمات نراها واضحة عند مراجعة نصوص الحكمة التى قدمها كتّاب الحكمة على مدى عصور الدولة المصرية القديمة وعند تصفح ورقات هذا البحث.

والله نسأل حسن القبول

والله الموفق والمعين

والحمد لله رب العالمين

بهتيم فى ١٤ ربيع الثانى ١٤١٩ هـ

الموافق ٧ أغسطس ١٩٩٨م

د. عبد الحميد درويش عبد الحميد

المراجع العربية

١. د. إبراهيم أحمد رزقانة : حضارة مصر والشرق القديم.

٢. د. أحمد بدوى : فى موكب الشمس جزأن – ط٢ (١٩٥٥م).

٣. د. أحمد بدوى ، جمال الدين مختار : تاريخ التربية والتعليم فى مصر : حـ١ العصر الفرعونى – القاهرة ١٩٧٤م.

٤. د. أحمد فخرى ، مصر الفرعونية ، موجز تاريخ مصر منذ أقدم العصور ط ٨ الأنجلو المصرية ١٩٩٥م.

٥. د. أحمد فخرى ، جمال الدين مختار : الموسوعة المصرية – تاريخ مصر القديمة وآثارها – ط١ – (القاهرة).

٦. د. أحمد عبد الرحمن إبراهيم : الفضائل الخلقية فى الإسلام (دار الوفاء – ط ١٩٨٩).

٧. السيد أبو ضيف المدنى : الأخلاق فى الأديان السماوية (دار الشروق ط ١٩٨٨).

٨. الغزالى (الإمام أبى حامد محمد بن محمد الغزالى) : إحياء علوم الدين حـ٣ – طبعة المكتبة التجارية الكبرى بالقاهرة.

٩. سليمان أحمد حزين : فى تاريخ الحضارة المصرية جزء أول – ط القاهرة ١٩٦٢.

١٠. د.سليمان أحمد حزين : حضارة مصر أرض الكنانة ط١ (دار الشروق – القاهرة ١٩٩١)

١١. د. سليم حسن : مصر القديمة حـ١ ط ١٩٤٠ ، جزء (٢) طبعة ١٩٥٩، حـ٤ .

١٢. د. سليم حسن : الأدب المصرى القديم حـ١ ط. القاهرة.

١٣. سلامة موسى : تراث مصر القديمة (تراث مصر الفكرى والفلسفى فى عهد الفراعنة " مجلة المقتطف عدد سبتمبر ١٩٣٦) .

١٤. د. سيد كريم : الكاتب المصرى وروائع القصص العالمى الهيئة المصرية العامة للكتاب ط. ١٩٩٤

١٥. سيريل الدريد : الحضارة المصرية من عصور ما قبل التاريخ حتى نهاية الدولة القديمة " ترجمة وتحقيق مختار السويفى ، مراجعة د. أحمد فخرى (الدار المصرية اللبنانية ط١٩٨٩)

١٦. د. صلاح مصطفى الفوال " التصوير القرآنى للمجتمع – دار الفكر العربى – القاهرة – ط ١٩٨٥)

١٧. د. صلاح مصطفى الفوال : علم الاجتماع فى عالم متغير – دار الفكر العربى – القاهرة – ط١٩٩٦)

١٨. شارف إلكسندر : تاريخ مصر – ترجمة عبد المنعم أبو بكر – طبعة القاهرة ١٩٦٠.

١٩. شوقى جلال : الحضارة المصرية ، صراع الأسطورة والتاريخ – دار المعارف – القاهرة –١٩٩٦.

٢٠. د. عبد الحميد درويش : إثبات الرسالة وصفات الرسل – مكتبة وهبة ط ١٩٩٠.

٢١. د. عبد العزيز صالح : حضارة مصر القديمة وآثارها جزء أول القاهرة ١٩٦٢ .

٢٢. د. عبد العزيز صالح : التربية والتعليم فى مصر القديمة طبعة القاهرة ١٩٦٦.

٢٣. د. عبد العزيز صالح : الأسرة المصرية فى عصورها القديمة طبعة القاهرة ١٩٨٨.

٢٤. د. عبد العزيز صالح : ديانة مصر القديمة طبعة القاهرة١٩٩٠.

٢٥. د. عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم حـ١ – ط ٤ الأنجلو المصرية ١٩٨٤ .

٢٦. د. عبد القادر حمزة : التاريخ المصرى القديم – جزآن – طبعة القاهرة ١٩٧٠

٢٧. د. عبد المعطى شعراوى : أسطورة طيبة ، مكتبة الأسرة – الهيئة المصرية العامة للكتاب ط ١٩٩٤ .

٢٨. عبد الوهاب النجار : قصص الأنبياء ، مكتبة دار التراث ط ١٩٨٥ .

٢٩. د. علاء حمروش : تاريخ الفلسفة الشرقية : ط القاهرة ١٩٨٩ .

٣٠. فتحى العقيل : إخناتون الفرعونى ، أول من دعى إلى التوحيد من غير الأنبياء فى مصر – ط القاهرة ١٩٩٣ .

٣١. مايرز ، ج. ل مايرز : فجر التاريخ – ترجمة د. على عزت الأنصارى – مراجعة د. عبد العزيز عبد القادر كامل – ط القاهرة .

٣٢. د. محمد السيد غلاب : الفلسفة الشرقية ط٢ القاهرة ١٩٥٥ .

٣٣. د. محمد بيومى مهران : الديانة العربية القديمة – ط القاهرة ١٩٧٨ .

٣٤. د. محمد بيومى مهران : إخناتون ، عصره ودعوته – ط القاهرة ١٩٧٩

٣٥. د. محمد شفيق غربال : تاريخ الحضارة المصرية (الجزء الأول) طبعة القاهرة.

٣٦. د. محمد شفيق غربال : تكوين مصر عبر العصور – الهيئة المصرية العامة للكتاب (الطبعة الثانية ١٩٩٠) .

٣٧. مختار السويفى : مصر والنيل فى أربعة كتب عالمية (الدار المصرية اللبنانية ط١٩٨٦).

٣٨. د. مصطفى النشار : بتاح حوتب رائد الفكر الأخلاقي في مصر القديمة (مجلة الجمعية الفلسفية المصرية عدد يونيو ١٩٩٢)

٣٩. مصطفى عامر : في تاريخ الحضارة المصرية م١ – القاهرة ١٩٦٢ .

٤٠. د. نجيب ميخائيل : الحضارة المصرية القديمة – ط الإسكندرية ١٩٥٧ .

٤١. د. نديم السيار : قدماء المصريين أول الموحدين ط ٢ – حـ١ القاهرة ١٩٩٥ .

٤٢. هيرودوت : حضارة مصر – ترجمة د. محمد صقر خفاجة – تعليق د. أحمد بدوي – القاهرة ١٩٦٦ .

المـراجع الأجنبية

1. A. Erman : The Literature of the Ancient Egyptians.

والترجمة العربية : أدولف أرمان : ديانة مصر القديمة ترجمة د. عبد المنعم أبو بكر ، د. محمد أنور شكرى ط القاهرة ١٩٥٢.

2. A.H. Gardiner : The attitude of the ancient Egyptians to Death and the Dead, 1935.

3. A.H. Gardiner : Egypt of the Pharahs, 1964.

والترجمة العربية : آلن جاردنر : مصر الفراعنة ترجمـــة د. نجيـب ميخـائيل.

4. Baugaerte L.E.J. : The culture of prehistoric Egypt, Oxford, 1947

5. BREASTED .J.H : Ancient Records (B. A. R.) 1906.

6. BREASTED .J.H : A History of Egypt from the Earliest Times to the Persian conquest, 2nd, ed., 1927.

ترجم إلى العربية بعنوان : انتصـار الحضـارة (تـاريخ الشـرق القديـم) ترجمـة د. أحمد فخـرى.

7. BREASTED .J.H : The Dawn of conscience, New York, 1933 , 1939.

والترجمة العربية : فجر الضمير : ترجمـة د. سـليم حسـن – طبعـة مكتبـة مصـر ١٩٥٦.

8. BREASTED .J.H : Development of Religion and Thought in Ancient EGYPT, London

والترجمة العربية : تطور الفكر والديـن : طبعـة القـاهرة ١٩٦٥.

9. BREASTED .J.H : Acity of Akhenaton in NUBIA , 1902.

10. Brunton .G. And Caton Thompson G: THE Badarian civilisation and predynastic Remains near Badari, LONDON, 1928.

11. C. Aldred : Akhenaton, 1968

12. Donald, B. Redford: studies on Akhenaton at thebos Museum University of pency Lvania

13. Donald, B. Redford: Reconstructing the temples of a Heretical pharaoh, Archaeology, 1975

14. Drioton . E . et Vandier. J.: L, EGYPTE 2nd, ed., 1946.

والترجمة العربية : دريوتون ، فانديه : مصر ترجمة : عباس بيومي ط٢ ١٩٥٠م.

15. Eliot. Smith: the Royal Mummies

16. E. Seidle : Low in the Legacy of EGYPT, 1947.

17. E. L. Griffith : the jubile of Akhenaton, 1918.

18. F. Daumas, Le civilization de L,EGYPTE pharaonique, Paris, 1965.

19. Faulkner: the Ancient Egyptians, Coffin Texts 1.

20. Frankfort, H: Kingship AND THE GODS, Chicago, 1948.

21. George Saraton : The History Of Science And The New Humanism New York 1965.

والترجمة العربية حـ ١ ط ١٩٥٦.

22. George Goyon : Le papyrus de Turin Annueles du Serveces, XL. LX.

23. GEORGE MASPERO : ETUDE de methodology . IV.

24. George Poscener Serge Saunerum, Jean Yeyotte: A Dictionary of Egyptian CiVilization.

25. GEORGE POSCENER : LA PREMIERE DOMINATION PERSE EGYPTE , BIBL, XI, LE CAIRE 1936.

26. H. Frankfort: The Birth Of Civilization , 1951.

27. H. Gauthier : Le Liver des Rois d' Egypte II.

28. Hayes, w, c. : The Scepter Of Egypt . Vol. New York , 1953.

29. John Wilson : The Burden of Egypt. Vol. New York 1953.

الترجمة العربية : د. أحمد فخرى ط ٢ ١٩٥٦ بعنوان الحضارة المصرية.

30. John Wilson : The Culture of Ancient Egypt, chicage 1963.

31. Gohn Ball : Egypt In The Classical Geographers Cairo 1942.

32. J. Vandier : la famine dans l'egypt ancienne le Cairo 1936.

33. J. Vandiar : La Religion egyptienne, paris 1949

34. John Milton : Sunrise Of Power:

ترجم إلى العربية ضمن كتاب : مصر والنيل فى أربعة كتب عالميـــة – ترجمـــة مختـــارة السويفى – الدار المصرية اللبنانية ط ١ ١٩٨٦.

35. L.a. White : Akhinaton : the great man and the culture proccess in joas. L.x viii 1948

36. Maret : La Passion D'osiris Dans Rois Et Dieux D' Egypte, Paris 1916

37. M. A. Hoffman : Egypt before the Pharahos, 1979.

38. Morenz : La Religion Egyptienne, Paris , 1962

39. Parker, R. The calendars of Ancient Egypt, Chicago 1950.

40. Pascal Venus Jean Yoyotte : Les Pharahos. (82).

الترجمة العربية : موسوعة الفراعنة ، ترجمة د. محمـــود مـــاهر مـــهران – دار الفكـــر للدراسات والنشر ط ١ القاهرة ١٩٩١.

41. Pritchard : Ancient Near Eastren Texs, 1950.

42. Pratt .L.A : ancient Egypt : scurces of in formation. New York public library Vol. 2, 1942.

43. Sand Man : Texts From The Time Of Akhenaton 1938.

44. Smith .W.S.The Old Kingdom In Egypt Vol. London 1962,1965.

45. W. Budge : The Egyptian Book Of The Dead : Osiers And The Egyptian Resupection 2 Vol. 1911.

46. W. Budge : Frome Fatish To God in ancient Egypt Oxford, 1934

47. Wainwright, G.A : The Sky Roligion In Egypt . Cambridge, 1938.

48. William Macquitty : Ramses The Greet Master Of The World.

* ترجم إلى العربيـــة ضمـــن كتـــاب : مصـــر والنيـــل فـــى أربعـــة كتـــب عالميـــة – ترجمة مختار السويفى – الدار المصرية اللبنانية ط١ ١٩٨٦.

محتويات الكتاب

رقم الإيـــداع : ١٧٢٩٢ / ٩٨
الترقيم الدولي : I.S.B.N
977- 19 - 7763 - 6